

راجي عنايت



المستقبل بين الشرق والغرب

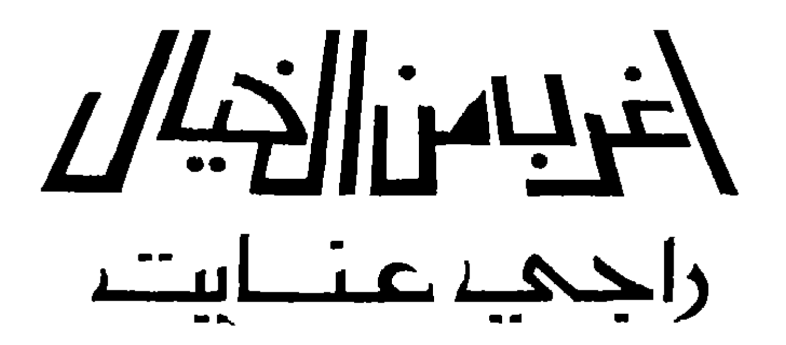
المستقبل
بين
الشرق والغرب

الطبعة الثانية

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

© دار الشروق

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني - هاتف: ٧٧٤٨١٤ - ٧٧٤٥٧٨ - برقيا: شروق - تلكس: 93091 SHROK UN
بيروت: ص ب: ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧١٥ - ٨١٧٢١٣ - برقيا: داشروق - تلكس: SHOROK 20175 LE
SHOROUK INTERNATIONAL: 316/318 REGENT STREET, LONDON W1, UK, TEL. 837 2743/4 TELEX SHOROK 257780



المستقبل بين الشرق والغرب

دار الشروق

صمم الغلاف : الفنان حلمى التونى

مُقَدِّمَة

ما هي صورة العالم عند مطلع القرن القادم؟

أي أحداث جسام ستتعاقب علينا، متسارعة، خلال السنوات الباقية من هذا القرن؟

هل ستبقى خريطة العالم السياسية على ما هي عليه الآن؟، أين ستنشب الحروب؟.

وهل يصل الأمر الى حرب نووية شاملة، خلال ما بقي من هذا القرن، تفجر كل طاقات الدمار في العالم؟

هل ستبقى منطقة الشرق الأوسط على ما هي عليه الآن من عدم استقرار؟

ودولة إسرائيل، التي يعتبرها علماء المستقبل أكثر دول الشرق الأوسط عدم استقرار، هل يفقد الغرب حماسه لها، نتيجة لسياساتها العنصرية في الأرض المحتلة، ومواقفها من الشعب الفلسطيني؟.

هل ستصبح إيران أكثر الدول تعرضاً للصراعات والتقلبات في تسعينيات هذا القرن؟. وهل تتوحد الدولتان الألمانيتان عام ١٩٩٥، في دولة غير منحازة، تشكل منطقة منزوعة السلاح النووي بين الشرق والغرب؟..

هل ستسقط حكومة الاقلية البيضاء في جنوب أفريقيا ما بين عامي ١٩٩٠ ، و ٢٠٠٠؟ . وهل ستصبح زمبابواي أكثر الدول الأفريقية استقراراً؟ .

، ماذا تقول مؤسسات التنبؤ العلمي في العالم الغربي عن كل هذه التساؤلات؟

ثم ما هي رؤية علماء المستقبل في الدول الاشتراكية؟ هل تتفق مع رؤية علماء الغرب؟ . . وكيف يرى علماء الشرق جهود علماء الغرب في هذا المجال؟ . . ولماذا يكون الاشتراكيون أكثر تفاؤلاً بالنسبة للمستقبل؟

يحاول هذا الكتاب أن يجيب عن هذه التساؤلات ، ويمهد لرؤية أوسع ، تتناول المستقبل الشامل الذي ينتظر العالم في السنوات القليلة القادمة ، والذي سيقلب كل معاييرنا ومقاييسنا وعلاقاتنا الاجتماعية .

راجي عنايت

١٩٨٦

الفصل الأول

رؤية المستقبل. . .
معرفة وخيال

ترتكز رؤية المستقبل على عنصرين المعرفة والخيال. المعرفة وحدها تحبس العقل في إطار المعارف الراهنة دون القدرة على تصور العلاقات الكامنة بين عناصر هذه المعارف. والتي تسمح بمدّ الخطوط على استقامتها، للتعرف من خلال ذلك على المستقبل في ضوء ما يمكن آن يحدث من تفاعل بين الظواهر المختلفة. أما الاعتماد على الخيال دون سند قوي من المعارف والمعلومات. فإنه يعطي على أحسن الفروض. ما يشبه أعمال الخيال العلمي.

أول محاولة ذات شأن لتقدير مستقبل الجنس البشري. على أسس علمية سليمة، هي تلك التي قام بها «مالتس»، منذ أكثر من مائة وسبعين عاماً. بدأ مالتس بدراسة مفصلة لأحوال الفقراء بانجلترا، في الفترة التي أعقبت الثورة الصناعية مباشرة. وخرج من هذه الدراسة بنتيجة مؤداها آن الحالة سوف تصبح أسوأ بمرور الزمن. لأن مقدرة السكان على التكاثر أعظم بكثير من قدرة الأرض على انتاج مقومات الحياة. قال إن عدد السكان يزيد بمتوالية هندسية. بينما لا تتوافر مقومات الحياة بنفس المعدل. وقد اعتمد مالتس في بناء نظريته هذه على فكرة آن الوسيلة الناجحة لزيادة إنتاج الطعام هي زيادة الرقعة المزروعة من الأرض. وكان يرى أن الأرض المزروعة في انجلترا، في ذلك الوقت، قد قاربت

الوصول الى حدها الأقصى.

أخطأ مالتس في تقديره. ولم تؤيد الأحداث وجهة نظره المتشائمة. فبعد مضي ما يقرب من مائة عام من نشره لنظريته في السكان، تحسنت الحالة الاقتصادية للفرد الانجليزي العادي بسرعة خاطفة، على عكس ما قدر. لقد كذبت الأحوال الاقتصادية في انجلترا، في القرين التاسع عشر والعشرين، نظرية مالتس. كما أصبحت تقديراته حجة في يد الاقتصاديين. يقللون بها من أهمية المحاولات الحديثة لتقدير مستقبل البشرية.

يقول هاريس براون في كتابه المائة سنة القادمة «وحقيقة الأمر أن أخطاء مالتس الأساسية. لا ترجع الى الاستنتاج الخاطيء. بقدر ما ترجع الى عدم كفاية المعلومات التي توافرت لديه في ذلك الوقت».

إلا أن أخطاء مالتس لم تمنع البشر عن التفكير في المستقبل وتأمله. وربطأمانيهم بذلك المستقبل. وأصبحت دراسة مستقبل الحياة في القرن القادم. على أسس علمية. وبالاعتماد على أحدث الإمكانات التكنولوجية. هي الشغل الشاغل للبشر في جميع أنحاء العالم تقريباً، شرقاً وغرباً. يحضهم على هذا ويشجعهم على المضي فيه، ما يواجه عالم اليوم من مشاكل معقدة متشابكة.

التكاثف العالمي

يقول العالم السوفييتي دكتور إيفان فرولوف في كتاب المشاكل العالمية ومستقبل الجنس البشري «لقد تشابكت مشاكل العالم، وتولدت

عنها مشاكل مركبة تؤثر على البشرية جمعاء. من أهم هذه المشاكل: تجنيب العالم ويلات حرب نووية شاملة، وتأسيس الظروف التي تساعد على تطوير العلاقات الدولية على أسس سليمة، عن طريق التنمية الاجتماعية والاقتصادية لشعوب العالم. ثم التغلب على أكثر الظواهر العالمية وضوحاً في مجال الظلم الاجتماعي، نعني بذلك الجوع والفقر. كذلك ترشيد الاستفادة من الموارد الطبيعية على أسس عقلانية والوصول الى سياسة فعالة في مواجهة مشاكل السكان، وأيضاً وضع استراتيجية شاملة للحفاظ على نظافة البيئة. وأخيراً، تنمية التعاون العالمي في مجال البحث العلمي، وتطبيق الانجازات العلمية على التكنولوجيا والتعليم والصحة».

ويضيف فرولوف قائلاً: «ومشاكل العالم. بحكم طبيعتها الخاصة، تستدعي تكاتفاً، ليس فقط على مستوى الدول والأقاليم، ولكن في نفس الوقت على المستوى العالمي الشامل».

الرمال الناعمة

سنحاول في هذه الدراسة أن نقدم صورة للحياة على الأرض، عند انتهاء القرن الحالي. ومطلع القرن الحادي والعشرين. ومع كل المشقة التي تتضمنها هذه المحاولة، فإننا قد آثرنا أن نضاعف المشقة بمحاولة التركيز على الجانبين السياسي والاجتماعي.

وقد قمنا من قبل بمحاولة لرسم صورة المستقبل من خلال تطور العلوم

والتكنولوجيا، في مجالات النقل والاتصال والتعليم والبيولوجيا والطاقة والتصنيع وذلك في كتاب «هذا الغد العجيب». ونحن في هذه المحاولة ننتقل من الأرض الثابتة للحقائق العلمية والتكنولوجية، إلى منطقة الرمال الناعمة حيث احتمالات الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وحيث يدخل العنصر البشري كعامل من عوامل التأثير المباشر.

إذا فكرنا في احتمالات تطور الكمبيوتر مستقبلاً، تدخل في اعتبارنا عناصر مادية محدودة يمكن التعامل معها بدقة، لكن عندما نفكر في احتمالات تطور النظام في دولة ما، ولتكن الدولة العنصرية في جنوب أفريقيا، تتشابك العناصر، ويدخل الانسان بكل أحلامه وقدراته ونزواته في صميم هذا التطور.

مما يؤكد هذا، أننا في الدراسة السابقة التي اقتصرت على مستقبل العلوم والتكنولوجيا، وجدنا ما يشبه التطابق في رؤية علماء المستقبل في الشرق والغرب. لكننا هنا، إذا أردنا الوصول إلى صورة أدق للأوضاع في بداية القرن القادم، يجب علينا ألا نقتصر على تبني رؤية علماء المستقبل في دولة معينة، أو أولئك العلماء الذين يستمدون معارفهم من مجتمعهم الخاص، ويصبغون خيالهم بايديولوجية ذلك المجتمع.

فالملاحظ أن علماء المستقبل، مهما كان حرصهم على التزام الموضوعية في رؤيتهم للأوضاع الاجتماعية والسياسية عند مطلع القرن القادم، فهم رغم كل شيء يتأثرون ـ شعورياً ولا شعورياً ـ بفكر وعقيدة المجتمع الذي ينتمون إليه.

عالِم المستقبل الأمريكي يرى أن الاتحاد السوفييتي سيواجه في المستقبل أياماً صعبة. وهو يرجع ذلك إلى أن الاتحاد السوفييتي يلتزم بسياسة التسابق على التسلح، على حساب الاستهلاك لدى المواطن. وأن هذا الالتزام يمتص دم الحياة من الاقتصاد السوفييتي عاماً بعد عام.

ومن ناحية أخرى يقول عالم المستقبل السوفييتي إن علماء المستقبل البرجوازيين، يرسمون صورة مستقبلية للتطور العلمي والتكنولوجي في بلادهم، ويعتبرون أن هذا التطور سيكون فيه العلاج الشافي لكل شرور مجتمعاتهم. ويقولون إن هذا التطور سيتيح للرأسمالية أن تحظى بدفعة جديدة. تطيل من عمرها، دون أن تضطر إلى تغيير طبيعتها.

البشرية في بدايتها

شمولية النظرة الى المستقبل هي الطريق إلى رؤية أفضل وأعمق وأدق. رؤية متفائلة تتجاوز المخاوف والمحاظير المحدودة. وفي هذا يقول الفين توفلر في كتابه «الموجة الثالثة» أن العالم لا يندفع نحو الجنون، وإنه توجد في حقيقة الأمر وراء قعقعة وصلصلة الأحداث التي تبدو غير معقولة. أنماطاً مدهشة زاخرة باحتمالات الأمل. . وهذا الكتاب يتوجه إلى أولئك الذين يعتقدون أن قصة البشرية، أبعد ما تكون عن الانتهاء، بل هي في بدايتها الأولى. . !!

كذلك تظهر شمولية النظرة أن التغيرات التي نشهدها اليوم في حياة البشر ليست عشوائية تحدث بالصدفة، بل هي مترابطة تخضع لمنطق عام.

وعالـم المستقبـل العاقـل، يرى ذلك الترابط المتحقـق بين مختلف المستويات، فيدرك الصلة بين تفتيت الـذرة، وأزمـة الطاقـة العـالمية، وشيوع العقائد الجـديدة، وانتشـار التيلفـزيون السلـكي، أو تليفـزيون الكابل، وانتشار الحركات الانفصالية من كويبك إلى كورسيكا. . يرى في هذه الظواهر وفي غيرها، ظاهرة آكبر، تمتد الى مختلف نواحي كرتنـا الأرضية كالموجة العارمة.

زمن التغير

من المشاكل التي تواجه الدارس لمستقبل الحياة على أرضنـا، أنـه يتعامل مع زمن جديد.

لقد فات الزمن الذي كنا نشب فيه، فنفعل ما يفعلـه الآبـاء. ونعيش حيث يعيشون، ونعتقد ما يعتقدونه، ونفكر بنفس الطريقة التي يفكرون بهـا. ذلك الزمن، الذي كان فيه الحاضر أرضـاً صلبـة لرسـم صورة المستقبـل. مضى ذلك الزمـان المستقر، نتيجـة لتسـارع التطـورات التكنولوجية، والزيادة المطردة في معدلات التغير، بحيث بدا الامر وكأن المستقبل يقبل علينا بسرعة اكبر يوماً بعد يوم، حاملاً معه المخاوف القاتلة التي تؤكد لنا أن روتين حياتنا اليومي لم يعد روتيناً متكرراً، وأن الأمـور تفلت من أيدينا بشكل خطير.

إننا نعيش زمن التغيير الذي لا ينتهي، الأمر الذي جعل القلق جزءاً لا يتجزأ من نسيج حياتنا الراهنة. إننا نشعر بالخوف مما يمكن أن تأتي به

الأيام، ومع هذا الخوف تتزايد حاجتنا إلى معرفـة كل ما هو ممـكن عن المستقبل.

وعلماء المستقبل في محاولتهـم لتحـديد صورة ذلك المستقبـل، لا يعتمدون على البللورة السحرية، ولا على أبـراج المنجمين، ولا علـى قراءة الكف أو ضرب الرمل. إن استقراء المستقبل يحتاج أكثر ما يحتاج إلى عقل مفتوح. وعلى حد قول أحدهم «العقول، شأنها شأن مظلات الهبوط، تعمل فقط عندما تكون مفتوحة..». فالعقل المغلق يفشل في التنبؤ بشيء، حتى لو تعثر صاحبه في الحقيقة رغماً عنه.

عملية التنبؤ العلمي بالمستقبل ليست لعبة حظ، فهي تعتمد حالياً على جمع الحقائق وتحليلها وتصنيف المعلومات، والاعتماد المـكثف علـى الكمبيوتر. عالم المستقبل يقدم الى الكومبيوتر كافة المؤشرات والمواقف والاتجاهات. التي تكون في أغلـب الاحيان عبـارة عن شذرات متناثـرة غامضة من المعلومات. ثم يقوم بتحليـل النتـائج التي يقدمها الكمبيوتر. ويحاول ان يستنبط من ذلك الاتجاه الذي تسير وفقه الأمور

أول تنبؤ علمي

وحرفـة التنبـؤ العلمـي بالمستقبـل ليسـت جديدة. نضجـــت بسرعة فائقة. منذ طفولتها الاولـى. عندمـا بدأت وقـت انـدلاع نيران الحـرب العالمية الثانية.

والذي يؤرخ لهذه الحرفة. لا بد أن يسجل في تاريخها ما قام به الراحل

تيودور فون كارمان. عندما طلبت منه الاكاديمية القومية للعلوم بأمريكا أن يتنبأ لها بمستقبل الصواريخ والمحركات النفاثة. فأفتى فون كارمان بأنه لا مستقبل لها. وعلل ذلك بعدم وجود مواد على درجة من الصلابة تتحمل درجات الحرارة العالية التي تتولد أثناء الاحتراق الذي يجري.

وبعد هذا بخمس سنوات. قام فون كارمان بتنبؤ آخر لحساب الجيش الأمريكي. فذكر في ذلك التنبؤ العديد من الاشياء التي تحقق ٩٠ في المائة منها خلال السنوات العشرين التالية في مجال الصواريخ والمحركات النفاثة.

وعندما سئل فون كارمان في عام ١٩٥٥ عن السر في خطأ تنبؤه عام ١٩٤٠. أجاب إن مرجع ذلك إلى نقص المعلومات. ومنذ ذلك التاريخ، تطور التنبؤ العلمي بالمستقبل في أمريكا، مع نمو البنتاجون، في سنوات الحرب الباردة، خلال الخمسينيات والتسينيات.

في عالم الصناعة والمال

انتقل التنبؤ العلمي بالمستقبل بعد ذلك الى مجال الأعمال الصناعية والمالية. وأصبح كل صاحب مشروع يسأل نفسه ثلاثة أسئلة أساسية يسترشد بها في التنبؤ بمستقبل عمله: هل الأمر مجد من الناحية التكنيكية؟. ويعني التنبؤ هنا: هل أستطيع أن أقوم بهذا المشروع أم لا؟. والسؤال الثاني هو: هل الامر مجد من الناحية الاقتصادية؟. ما هي تكلفة المشروع، وهل تزيد أرباحه على تكلفته؟. والسؤال الثالث هو:

هل الامر مقبول من الناحيتين الاجتماعية والسياسية؟ . مما يعني. هل ستسمح لي الدولة ببيع منتجاته. وهل يقبل عليها الجمهور؟ .

واليوم توجد في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها ست مؤسسات متخصصة في التنبؤ العلمي بالمستقبل. من بينها المؤسسة الدولية للتنبؤ في ارلنجتون بفرجينيا، والتي يرأسها أحد مؤلفي كتاب «لقاء مع المستقبل»، العالم مارفن سيترون. من بين عملاء هذه المؤسسة الذين يلجأون إليها في تخطيط وتطوير نشاطهم، شركات: جنرال اليكتريك، وزيروكس، وفولفو، وسيتيبانك، والشركة العامة للتليفون والالكترونيات، ووستنجهاوس، وأوكسيدينتال بترولیام. بالاضافة إلى بعض الجهات الحكومية مثل هيئة الدفاع وهيئة الطاقة، وإدارة الفضاء. وبعض الدول الأجنبية مثل يوغوسلافيا والسويد وكينيا والبرازيل وإسرائيل.

المؤشرات في إيران

منذ تسع سنوات. قامت المؤسسة بتحذير عملائها من الوضع في إيران. وطلبت تخفيض استثماراتهم. فقد تحققت المؤسسة بعد دراسات طويلة متشعبة من أن الاوضاع القلقة في إيران تستفحل يوماً بعد يوم.

لقد تضمنت الدراسات التي قامت بها المؤسسة بحث ٣٥٠٠ عنصر من العوامل والاتجاهات والمؤشرات المختلفة. والمقابلة بينها في مئات من التشكيلات الممكنة. حتى توصل الكمبيوتر آخر الأمر إلى تلك النتيجة.

من بين المؤشرات التي استندت إليها المؤسسة. أن الأغنياء في إيران

يزدادون ثراء، وأن الفقراء يزدادون فقراً، إن معدلات التضخم تندفع بلا حدود. كما أن مشاكل الإسكان لا تجد لها حلاً.

البطالة متفاقمة، خاصة بين حديثي التخرج من الشباب. والشاه بدأ يفقد صلته بشعبه. بل أنه كان قد توقف عن دفع رواتب رجال الدين. مما جعلهم يعتمدون على تبرعات ومساهمات الباعة في الأسواق. وكانت روجة الشاه قد بدأت في فرض نسبة على العقود التي يبرمها الشاه لسد فم الالة العسكرية.

وكان من بين المؤشرات التي استندت إليها المؤسسة في القول بانهيار الوضع بإيران. ما قام به الشاه من مضاعفة لرواتب ضباط الجيش، حتى يشتري ولاءهم.

استجاب لنصيحة المؤسسة، ١١ شركة من الشركات التي تتعامل معها، فأسرعوا بتخفيض قيمة استثماراتهم في إيران، مما وفر عليهم ما مجموعه ٥٠٠ مليون دولار عندما بدأت ثورة الشعب الإيراني. ولم يستجب تسعة من عملاء المؤسسة لنصيحتها وتحذيرها، فخسروا مثل ما كسبه الاخرون.

تباين نشاطات المؤسسة

باستقراء المؤشرات والاتجاهات تنبأت المؤسسة بعدة أحداث عالمية: حالة عدم الاستقرار التي فرضت نفسها على بولندا. الانقلاب العسكري في تركيا. التغيرات السياسية في الهند. كما تنبأت بالحرب العراقية

الايرانية. قبل أن تحدث بعام كامل. وكانت المؤسسة قد تنبأت قبل عام ١٩٧٣، بقطع العرب لامدادات البترول. وبطوابير صرف الوقود في الغرب التي ترتبت على ذلك.

وبالنسبة للأوضاع الداخلية في الولايات المتحدة الامريكية. تنبأت المؤسسة في السبعينيات بتقرير حق الطلاق دون أضرار. وبأوضاع علاقات التعايش الجديدة بين الجنسين. وببزوغ نجم المحافظين. وكانت المؤسسة هي التي اقنعت مصنعاً للسجائر، من بين عملائها، بإنتاج السجائر ذات القطران والنيكوتين المخفض، قبل أن تبدأ هذه الموجة في امريكا. وألحت على أكبر ثلاثة مصانع للسيارات في ديترويت بإنتاج سيارات صغيرة. قبل أن تتحكم تويوتا في السوق العالمية.

السويد.. مؤشر أمريكا

يحكي مارفن ستريون عن الطريقة التي استطاعت بها المؤسسة أن تتنبأ علمياً بهذه الحقائق المتصلة بالمجتمع الأمريكي، فيقول: «كان ذلك بمراقبة ودراسة نفس هذه الاتجاهات كما كانت قد حدثت قبل سنوات في السويد. فالسويد هي دولة البشائر، وأيضاً ناقوس الخطر بالنسبة لباقي دول العالم. فبالنسبة لمعظم التغيرات الاجتماعية خلال القرن العشرين. كانت البدايات تحدث أولاً في السويد. ثم تزحف إلى باقي الدول الاسكندنافية. قبل أن تصل إلى أمريكا. وعندما تصل هذه التغيرات الاجتماعية الى أمريكا. فهي غالباً ما تلتزم خط سير محدد. تبدأ في نيويورك. ثم تتحرك غرباً الى كاليفورنيا. ثم الى أوريجون. ثم عبر البلاد

ثانية الى الممر الشمالي الشرقي الذي يتضمن بوسطن وواشنطن. وبعدها تتجه غرباً الى مينيسوتا وويسكونس. ثم الى باقي أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية وتصل هذه التغيرات آخر ما تصل الى الولايات المحافظة أكثر من غيرها. مثل الاياما وميسيسبي ويوتاه».

المواقف الأمريكية الجديدة حول الجنس والمرأة جاءت من السويد. عندما بدأت فيها عام ١٩٣٢ الحركة النسائية، التي حولت النساء من الوظائف النسائية التقليدية، مثل التدريس والتمريض، إلى كافة مجالات العمل الأخرى. ونظام التأمين الاجتماعي بدأ في السويد قبل أن يظهر في أمريكا. ونفس الأمر ينسحب على مشروعات الخدمة الصحية العامة. وكانت السويد هي أول من حرم عقوبة الاعدام. وأول من أمن على ضمانات السلامة الوظيفية والأمن الصناعي. وأول من فرض استخدام أحزمة الأمان للسيارات. وما تراه اليوم مسجلاً على علب وزجاجات المنتجات المختلفة من تسجيل لمكونات ما بها. ظهر أول ما ظهر في السويد. وقبل أن يظهر في أمريكا بعدة سنوات.

قصة التنبؤ بالسجائر

يقول مارفن سيترون. من هنا أمكننا أن نتنبأ بموجة السجائر مخفضة القطران والنيكوتين في أمريكا. فقبل ذلك بسنوات آمرت حكومة السويد بتسجيل نسبة القطران والنيكوتين على كل علبة سجائر. مما قاد إلى سباق

شركات السجائر السويدية إلى إنتاج سجائر تنخفض فيها هذه النسبة. حدوث هذا في السويد. أقنعنا بقرب حدوثه بعد ذلك في أمريكا.

وهو يتوقع أن تبدأ في أمريكا خلال السنوات العشر القادمة. نفس الاجراءات والأوضاع التي شاعت في السويد. فينتقل إلى أمريكا مبدأ إجازة الأبوة. بالنسبة للآباء الجدد. والتأمين الحكومي الطبي على المواطنين ضد الكوارث. والتعليم الجامعي المجاني على أساس منح التفوق. كذلك من المتوقع أن تطبق أمريكا القوانين المتشددة لمحاسبة قادة السيارات المخمورين، بعد أن طبقت بشكل فعال في السويد.

وقد بدأت تظهر في أمريكا بشائر القوانين السويدية التي طبقت في السويد بخصوص حقوق الطفل. فالطفل السويدي الذي يبلغ الخامسة من عمره. يمكنه أن يقرر مع من يريد أن يعيش، إذا ما حدث الطلاق بين الأبوين. والذين هم أكبر سناً من المراهقين. يكون لهم حق الانفصال عن الأبوين، إذا ما ثبت للقضاء عدم كفاية الأبوين، وعدم قدرتهما على القيام بواجباتهما تجاه المراهق. فتعطيه المحكمة حق الانفصال عن أبويه والعيش عند الأقارب والأصدقاء الذين يرحبون به.

كما ستبدأ بعض سجون الولايات المتحدة الامريكية تجربة نظام الزنزانة المشتركة في السنوات القادمة. فالرجل والمرأة من المسجونين في السويد يمكنهما أن يتقاسما زنزانة واحدة. إذا ما طلبا ذلك معاً. وقد ظهرت لهذا النظام آثاره الطيبة في سجون السويد. من حيث رفع الروح المعنوية، والحد من التوتر ومن ظواهر الشذوذ الجنسي بين المساجين.

كذلك سيصل إلى أمريكا في المستقبل القريب. ما جرى تطبيقه في السويد. من إعطاء حق الانتخاب للعمال المهاجرين إليها من الأجانب. فقد وفر هذا الحق للعمال المهاجرين الاحساس بالانتماء. كما جعلهم مقبولين بشكل أكبر لدى المواطنين.

بولندا . . والعقل الألكتروني

ويفسر علماء المستقبل السرفي تنبؤهم بالأوضاع غير المستقرة حالياً في بولندا، فيقولون إنه يكفي في هذا أن نعود بذاكرتنا إلى نهاية الحرب العالمية الثانية. لقد فقدت بولندا، بسبب الحرب، صناعتها الثقيلة، شأنها شأن الدول الأوروبية الأخرى. ولكن على عكس هذه الدول، لم تسع بولندا إلى تطوير وتحديث مصانعها وترساناتها عندما أعادت البناء. لقد خطت بولندا إلى عالم ما بعد الحرب خطوة خاطئة. باستخدام آلات يرجع طرازها الى ٣٠ سنة مضت. في منافسة الدول الأخرى المجاورة لها، والتي عمدت إلى تحديث صناعاتها. وهذا هو الذي أوقع بولندا في الديون. وجعلها مديونة للبنوك الغربية بما يزيد على ٢٧ بليون دولار.

ويرى علماء المستقبل في الغرب، أن بولندا لم تكن تناسبها الشيوعية، فقد كانت أكثر صلابة في الرأي واستقلالاً في الإدارة من أن تخضع لإيديولوجية حديدية ومركزية كالشيوعية. وهكذا نشأت الارتباكات، قادة الحرب المحليون يعطون الأوامر التي من حق القيادة المركزية، والعكس بالعكس. تقرر القيادة المحلية انتاج السيارات، متجاهلة حقيقة عدم قدرتها على منافسة السيارات السوفييتية والأوروبية.

وفي نفس الوقت، يوضع حق تقرير إجازات العمال في يد اللجنة المركزية بوارسو، وليس في يد القيادات المحلية.

والمعروف أن معظم الأسر البولندية لها بعض الأقارب المهاجرين إلى الولايات المتحدة الأمريكية. ونتيجة لهذا، يعقد العمال في بولندا المقارنات من واقع الخطابات التي تصلهم من أقاربهم. تلك الخطابات التي تقول لهم إن أيام العمل الأسبوعية قد أصبحت خمسة أيام فقطوليس ستة. وإنها ستصبح في القريب أربعة أيام. وفي نفس الوقت ترفع الحكومة البولندية أسعار المأكولات، ولكنها تبقي الأجور على حالتها. وهي تضيق على الكنيسة الكاثوليكية، دون أن تدرك أن العالم قد أصبح على وشك اختيار بولندي للبابوية. لقد كان انتخاب البابا جون بول الثاني، هو القشة التي قصمت ظهر البعير.

وأيضاً حدث شيء آخر. فبعد سنوات من التحكم في الصحافة ومراقبتها بشدة، خضعت الحكومة البولندية لضغطالشعب، وتركت للصحافة البولندية قدراً كبيراً من حريتها، وكانت النتيجة طوفاناً من النقد للشيوعية، وللنظام، ولارتفاع الأسعار، وانخفاض الأجور. يقول مارفن سترون معقباً على ذلك. عندما قام خبراؤنا بتلقيم العقول الالكترونية بهذه الحقائق، دارت دورتها، ثم ظهرت على شاشاتها كلمات: عدم الاستقرار.. والاضراب.. والقلاقل.. وكان هذا ما قامت به نقابة «تضامن».

تركيا . . والمستودع الشرعي!

أما عن الانقلاب العسكري في تركيا، فإن التنبؤ به لم يكن صعباً بالمرة، ذلك إذا ما تأملنا المؤشرات الشبيهة في إيران.

كان المسلمون الأتراك في حالة قلق بسبب التوجهات الغربية السائدة هناك . . ولم تستطع الحكومة التركية أن تصل إلى اتفاق مع اليونان حول قبرص. وكانت الهوة بين الفقراء والأغنياء آخذة في الاتساع، وقد بلغ معدل دخل الفرد في الشريحة العليا التي تمثل عشر الشعب الأغنى **٣٥** ضعفاً معدل دخل الفرد في العشر الأفقر من الشعب.

وأيضاً كان واضحاً بشكل متواصل، بلا أحزاب أخرى وسيطة تملأ الفراغ بينهما . . كان اليسار يقتل اليمين، واليمين يقتل اليسار في شوارع أنقرة.

والجيش التركي القوي، قد يقبل اتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء، وقد يرضى عن التوجهات الغربية للدولة، وحتى قد يغمض العين عن غيبة انتصار واضح في قبرص، لكنه لم يستطع تحمل الجرائم السياسية في الطرقات . . وهكذا جاء الوقت الذي يتحرك فيه الجيش التركي للامساك بزمام الأمور، معتبراً نفسه المستودع الشرعي للشرف القومي.

١٨ شهراً قبل حرب اكتوبر

ومن بين الأمور التي درستها مؤسسة ارلنجتون العالمية للتنبؤ العلمي. وتوصلت فيها الى تنبؤات صائبة، الأوضاع الخاصة بالشرق الأوسط عام ١٩٧١ . وقد جرت هذه الدراسة استجابة لطلب من السوق المشتركة.

يقول مارفن سيترون، كان العرب في ذلك الوقت قد تقدموا لتوهم بخطة سلام غير ناضجة، رفضتها اسرائيل. ولعل مرجع هذا الرفض، جزئياً، احساس إسرائيل بالتفوق، بعد انتصارها الصاعق على العرب خلال ستة أيام. وكانت عناصر التقييم التي خضعت للدراسة في هذه الحالة، هي رفض إسرائيل لصفقة السلام، في الوقت الذي تتزايد فيه قوة العرب نتيجة للأوضاع الاقتصادية المعتمدة على البترول، وزيادة اعتماد أوروبا على بترول الشرق الأوسط . . . دراسة هذه العناصر مع غيرها، أتاح لنا أن نطلق تحذيرنا قبل ١٨ شهراً من قيام الحرب حذرنا من اختناقات في إمدادات البترول التي تأتي من العرب، وقلنا إنه إذا حدث توقف في هذه الإمدادات، فهو لن يعني معاناة أوروبا الغربية وحدها».

وهو يقول إن الدعم السافر من جانب الولايات المتحدة الامريكية لاسرائيل، كان دائماً مصدر سخط في العالم العربي، الذي كان يدرك وقتها الحجم الهائل من البترول العربي الذي كان يتدفق إلى معامل التكرير الامريكية. إلى أن يقول، «لقد خرجنا بتنبؤاتنا، التي وضعناها أمام كل من يريد أن يفهم، ولم يكونوا كثيرين، والتي تفيد حتمية ظهور طوابير صرف الوقود في الولايات المتحدة الأمريكية، إذا ما نشبت الحرب في الشرق الأوسط . . »

● ● ●

والآن، ما هي المؤشرات الحيوية التي نستطيع أن نعرف بها مدى استقرار أحوال الدول المختلفة في الشرق والغرب خلال السنوات الباقية على مقدم القرن الحادي والعشرين؟ . .

الفصل الثاني

مصائر الدول
عند نهاية هذا القرن

كيف يتم التنبؤ العلمي بالمستقبل؟، وما هي المؤشرات الحيوية التي بعتمد عليها عالِم المستقبل في استقرائه للأحداث الراهنة، وتنبؤه بالأحداث القادمة؟

هذه التنبؤات العلمية بالمستقبل، متى تنجح ومتى تخيب؟، وما هي لاشتراطات الضرورية لنجاحها عند التصدي لمجالات يكون المعول فيها على البشر، وعلى المجتمعات، وعلى الشعوب؟.

ثم ما هي أهمية التنبؤ العلمي بالمستقبل؟ وهل ينجح فعلاً في تجنيب لبشرية العديد من المحن والأزمات؟

يقول مارفن سترون وتوماس اتول في كتابهما «لقاء مع المستقبل». ند استعراض اسلوبهما في التنبؤ العلمي بأوضاع الدول:

«إن من بين ما نسعى إليه في هذا الكتاب، التنبؤ بالازمات قبل أن صبح أزمات.. وفي هذا نحن لا نأخذ ما تقدمه لنا العقول الالكترونية أخذ التسليم.. إن التنبؤات التي يقدمها إلينا العقل الالكتروني، تجري راجعتها. وطرحها على الخبراء المتخصصين في كل فرع من فروع لنشاط البشري».

«قبل أن نجلس لنكتب هذا الكتاب. حاولنا أن نسأل أنفسنا أكبر عدد من الأسئلة الممكنة. حول ما يسعى الناس إلى معرفته عن المستقبل. هل ستظهر أكثر من فيتنام أخرى للولايات المتحدة الامريكية؟ وأكثر من أفغانستان للاتحاد السوفييتي؟ كم دولة ستمتلك الأسلحة النووية؟ وماذا ستكون قيمة العملات العالمية؟ وما هو الشكل الذي ستكون عليه سيارة المستقبل عام ١٩٩٠، ثم هل سيعيش الجيل الحالي عمراً أطول من جيل الاباء؟ وما هو مستقبل معدلات الطلاق؟ . . وهل سنصل الى حل لازمة الطاقة؟ . . . »

«ونحن لا نزعم معرفة جميع الاجابات، لكننا نقدم هنا كل الاجابات التي أمكننا التوصل إليها. نحن لا نقدم إلى القارىء ما يتمنى ويحب أن يحدث، فمن بين التوقعات التي يقدمها هذا الكتاب ما يكون غير سار بالمرة، لكنه يقوم على حقائق موضوعية ثابتة. نحن نبذل غاية جهدنا لكي نكون عقلانيين ومقنعين فيما نقدمه من تنبؤات. وعندما نشعر اننا عاجزان عن الوصول إلى اجابة مقنعة في أي مجال من المجالات، نستشير من هم أكثر خبرة.»

أهمية التنبؤ العلمي

لكن، لماذا يكون من المهم أن نتمكن من التنبؤ العلمي بالمستقبل؟

إن تغير الأحوال بلغ حداً من السرعة، بحيث أصبح من غير الممكن أن نعتمد على استجابات سطحية في تعاملنا مع أحداث المستقبل، يكفي في

هذا أن ننظر إلى أسعار البترول المتزايدة، وإلى الفائدة المحلقة في ارتفاعها. . يكفي أن ننظر إلى هذا حتى نتأكد من حاجاتنا إلى معلومات أفضل من تلك التي تحت أيدينا، حتى نستطيع أن نواجه المستقبل بشكل أكثر اطمئناناً.

تصور ـ ولو للحظة ـ ان شركات انتاج السيارات كانت تعلم عام ١٩٧٠ أن السيارات الصغيرة ستصبح ضرورة حتمية في المستقبل القريب. لا شك أن مثل هذه المعرفة كانت ستوفر عليها الكثير من الجهد. وتحقق لها الكثير من الأرباح.

ولا شك أن لدى كل منا العديد من التساؤلات حول ما ستبدو عليه السنوات الباقية على بداية القرن التالي. هل يكون موقف الانسان من المال هو نفس موقفه الحالي. الواضح أن الانسان سيظل شغله الشاغل، جمع المال الذي يحتاج إليه في حياته حتى نهاية هذا القرن، وإلى أن تنجح الجهود الحالية في توليد الطاقة من عمليات الاندماج النووي بشكل علمي. فتنخفض أسعار الطاقة انخفاضاً كبيراً.

سيتضاعف سعر البترول خلال السنوات العشر القادمة. وستصنع السيارات من البلاستيك. بحيث يصل وزنها إلى نصف وزن السيارة الحالية، وتقطع من المسافات ضعف ما تقطعه السيارة الحالية. ولكن، كيف توصلنا إلى هذا الاستنتاج؟

تكمن الاجابة في «قاعدة البديل» ، وهي القاعدة التي تقول إن شيئاً ما

يحل محل شيء آخر. إذا ما كان أرخص أو أكثر أمناً أو يؤدي المهمة بشكل افضل.

السيارات، أصبح نصفها تقريباً من البلاستيك، وهناك قاعدة تقول إنه إذا وصلت نسبة المادة البديلة في الاستخدام إلى النصف، فهي غالباً ما تمضي في شيوعها حتى تحقق نسبة ٩٠ في المائة أو أكثر. لقد حدث نفس الشيء في السمن النباتي كبديل للزبد والسمن الطبيعي، وفي طلاء الحوائط الذي يعتمد على الماء في اذابته، كبديل لمواد الطلاء التي تعتمد في تركيبها على عنصر الرصاص، وحدث في الفحم كبديل للخشب. والبترول كبديل للفحم، ومواد التحلية الصناعية كبديل للسكر.

السيارات البلاستيك

بالنسبة للسيارات، كان أول بديل صناعي اعتمدنا عليه هو المطاط الصناعي المستخدم في الاطارات، ثم دخل البلاستيك إلى الحيز الداخلي بالسيارة. فاستبعدنا القطن وصوف التنجيد. ثم صنعنا لوحة القيادة التي تكون أمام السائق من مادة الفينيل. وهي من ضمن المواد التي يصنع منها البلاستيك، وستكون الخطوة التالية هي صنع الرفارف من البلاستيك. يليها صنع أجزاء المحرك من بلاستيك مقاوم للحرارة ويتحمل الضغط المرتفع. وسنصنع بعد ذلك جسم السيارة وهيكلها من البلاستيك. إلى أن نصنع المحرك ذاته من البلاستك. وما أن يحل عام ١٩٩٠، حتى نصنع من البلاستيك ٩٩ في المائة من السيارة.

حرب أم سلام؟

في كتاب «لقاء مع المستقبل» يجيب المؤلفان على سؤال يهم كل إنسان على سطح الأرض. وهو هل سيعم السلام أو تسود الحرب خلال العشرين سنة القادمة؟

يقولان «سيكون هناك حرب وسلام. فمما يؤسف له أن الحرب نشبت وتنشب وستنشب دائماً في العالم. ولكن مما يبعث على التفاؤل، إننا لا نعتقد بإحتمال حرب نووية شاملة خلال السنوات العشرين التالية».

ثم يقولان «ورغم أن الكثير مما ينتظرنا يبدو باعثاً على اليأس، إلا إننا ننظر إلى المستقبل من خلال عيون متفائلة.. سيكون هناك عدد أقل من الفقراء، بعد تطوير نظم الرعاية الاجتماعية وبعد أن تظهر أشكال جديدة للاصلاح الاجتماعي في بداية التسعينات.. فما أن نصل إلى عام ١٩٩٠، حتى تبلغ ساعات العمل ٣٢ ساعة أسبوعياً.. وفي عام ٢٠٠٠ ستصل إلى ٢٥ ساعة فقط، الوظيفة الواحدة سيتولاها أكثر من موظف بالتناوب. وسيتولى الروبوت، أو الانسان الالي، كل المهام الأصعب والأكثر خطراً على الانسان في المصانع، ومع تحسن الظروف الصحية، وازدياد معدل حياة الانسان، ستصل سن التقاعد عن العمل إلى ٧٠ أو ٧٥ سنة».

ثلاث زوجات لكل أمريكي

من أصعب الأمور التنبؤ بالتغييرات الاجتماعية والسياسية خلال العشرين سنة القادمة . . ومع ذلك يتصدى كتاب «لقاء مع المستقبل» لهذه المهمة الصعبة، واضعاً من خلال ذلك بعض المبادىء الأساسية التي يمكن الاعتماد عليها في هذا الصدد، والتي أثبتت التجربة سلامة الاعتماد عليها .

وقد كان من الطبيعي أن يستهل المؤلفان جهدهما، ببحث مستقبل الأوضاع في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد تنبأ المؤلفان في نهاية السبعينات بأن أمريكا ستقع تحت تأثير الاتجاهات المحافظة، وحتى عام ١٩٨٨، ورغم أنهما كتبا هذا الكتاب في عام ١٩٨٠، إلا انهما أكدا على فوز ريجان بالرئاسة لفترة ثانية، الأمر الذي تحقق عام ١٩٨٤ .

ويقول الكتاب، إنه بالرغم من سيادة الاتجاه المحافظ في الولايات المتحدة الأمريكية، إلا ان التغييرات الاجتماعية التي تمت في السبعينات لن تنتكس، لكنه لا يتوقع تغييرات جديدة في ظل رئاسة ريجان. وفي هذا أيضاً يعتمد المؤلفان على قياس أوضاع السويد. فمنذ عشر سنوات توقف في السويد تيار التغيير المطرد، بعد أن بلغ مداه في الفترة السابقة.

وبالنسبة للحياة الاجتماعية يرى الكتاب ان الولايات المتحدة ستعرف نسبة طلاق أكثر ارتفاعاً. . لن يعتبر المواطن الأمريكي زواجه الأول هو الزواج الوحيد. وستتيح العديد من الولايات حق الطلاق دون إبداء الاسباب. وسيتزوج معظم الأمريكيين ثلاث زوجات خلال

حياتهم . . الأولى لتلبية النزعة الرومانسية ، والثانية للانجاب ، والثالثة للرفقة المؤنسة ، وسيعيش المزيد من الأمريكيين معاً فيما يسمى بزواج التجربة . وسيزيد عدد البالغين الذين يعيشون معاً دون زواج . أما المواقف المتحررة من موضوع الجنس ، فستبقى ، بل وسيزيد مداها .

وهنا يشير المؤلفان إلى مسألة هامة في التنبؤ العلمي بالمستقبل ، وهل يمكن أن نحكم عليه حكماً أخلاقياً ، فيقولان «في هذا الكتاب لا نقوم بطرح أي أحكام أخلاقية ، إذا ما قلنا أن الطلاق سيرتفع معدله ، وأن الكثير من الرجال والنساء سيتزوجون ثلاث زيجات في حياتهم . فنحن نذكر ذلك ، لا لأننا نحب له أن يحدث ، أو لأننا نشجع على حدوثه . . نحن نذكره ، لأن مؤشرات الحاضر تنبيء بحدوثه» .

مائة دوله أفريقية تغير اسمها

منذ الحرب العالمية الثانية ، وخلال ٤٠ سنة مضت ، تغيرت أوضاع معظم الدول ، بقدر أكبر من تغيرها على امتداد الحروب السابقة في التاريخ . . هبطت دول وصعدت أخرى . . اختفت دول وعادت لتظهر من جديد . . وقد تسارعت هذه التغيرات بحيث أصبح من الصعب تسجيل كل مظاهرها . سقطت الفاشية ، وصعدت الشيوعية ، انتهى عصر الإمبراطوريات ، وبدأ عصر الاشتراكية . . نشبت العديد من الحروب الأهلية ، وقامت العديد من الثورات والانقلابات والحركات العسكرية في كل ركن من أركان الأرض على مدى هذه السنوات الأربعين . خسرت

الدول الأوروبية الاستعمارية كل مستعمراتها... أعظم امبراطورية في التاريخ، تلك التي لم تكن تغيب عنها الشمس، تنحصر الان في انجلترا واسكتلندا وويلز وايرلندا الشمالية.

ولكي نأخذ فكرة عن عدم أوضاع الدول خلال العشرين سنة الماضية فقط، يكفي أن نتأمل أحوال الدول الافريقية. لقد غيرت هذه الدول أسماءها أكثر من مائة مرة خلال هذه الفترة.

إذا كانت الأسرة الدولية قد شهدت هذه الحالة من عدم الإستقرار خلال العشرين سنة الماضية، فماذا ستكون صورة العالم خلال السنوات العشرين القادمة؟. وإذا كان من الصعب التنبؤ بما حدث في العشرين سنة الماضية، كيف سننجح في التنبؤ بأحوال العشرين سنة القادمة؟

المؤشرات الحيوية

الاتجاهات التي تساعد على تشكيل الأحداث الدولية، تتأثر دائماً بما يطلق عليه «المؤشرات الحيوية لكل دولة»

هذه المؤشرات الحيوية مع أهميتها، يسهل التعرف عليها. وهي تحدد وضع الدولة، كما يحدد ضغط الدم ودرجة الحرارة، وعدد ضربات القلب، حالة الانسان. وبصرف النظر عن موقع اقامة الانسان فوق سطح الأرض، فدرجة حرارة الجسم الطبيعية تظل ثابتة، وهكذا الأمر بالنسبة للدول، تكون لها أيضاً مؤشراتها الحيوية الطبيعية وغير الطبيعية.

المؤشرات الحيوية التي ندخلها في حسابنا عند تأمل وضع دولة معينة،

هي المؤشرات التي تحدد استقرارها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. ومن بين هذه المؤشرات الحيوية. معدل ترايد المواليد في الدولة، وموقفها من المظالم التي تقع على رعاياها، وكيف تعامل الدولة المواطنين الخارجين عليها وعلاقتها بالصحافة. ومعدل تبديلها للأنظمة الاقتصادية والتجارية وموقفها من حق الاضراب وأين ترسل الصفوة من أبنائها لاستكمال تعليمهم وماذا تدفع كمرتبات لضباط جيشها.

القدمان في الفرن والرأس في ثلاجة!

أهم المؤشرات الحيوية التي يرجع إليها علماء المستقبل هو معدل دخل الفرد. لكن عند البحث في استقرار نظام دولة ما، لا يفيدنا أن نعرف متوسط دخل الفرد بشكل عام، فالمهم في هذا أن نعرف مدى الهوة بين دخل القمة ودخل القاع. ويتم ذلك بأن نحسب متوسط دخل الفرد بالنسبة لعشرة في المائة من أصحاب أكبر الدخول، ومتوسط دخل الفرد بالنسبة لعشرة في المائة من أصحاب أقل الدخول، ثم نحسب العلاقة بين المتوسطين... هذه العلاقة هي التي تحدد مؤشرات استقرار النظام في دولة ما. فالتباين الشديد بين المتوسطين، يجعل الدولة مثل الإنسان الذي يضع قدميه في فرن ورأسه في ثلاجة، رغم ان متوسط درجة حرارة الرأس والقدمين قد يبدو طبيعياً، إلا ان مثل ذلك الانسان لن يعيش طويلاً. إذا ما بقي على تلك الحال.

أكثر الدول استقراراً بهذا المعيار هي السويد حيث يبلغ متوسط أعلى الدخول ٢,٥ من متوسط أقل الدخول.. بينما يبلغ ذلك في الولايات

المتحدة الأمريكية ١١ ضعفاً. . وإذا استخدمنا هذا المؤشر كمعيار وجدنا أن أقل دول العالم استقراراً هما أندونيسيا والأرجنتين حيث يبلغ ذلك ٤٠ ضعفاً. . وهذا لا يعني أن عالم المستقبل يتنبأ بقيام ثورات حتمية في مثل هذه الدول الاخيرة، لكنّ الثابت ان ما حدث في ايران، حدث وقد بلغ فيها التباين في الدخول ٣٨ ضعفاً.

طريقة معاملة المعارضة

ومن المؤشرات الحيوية الهامة عند بحث درجة استقرار دولة ما، معدل البطالة، ونحن لا نقصد بذلك النسبة العامة للمتعطلين في الدولة، ولكننا نعني البطالة بين الذكور الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و ٢٨ سنة. وهي الفئة التي تخلق المتاعب للدولة عندما تفتقد أمنها واستقرارها. .

هؤلاء يأتون عادة إلى المدينة، من المناطق الريفية، بعد أن يكونوا قد حصلوا على قدر من التعليم. على أمل الحصول على فرصة عمل فيها. وهم عادة لا يحصلون على العمل المنشود ويفتقدون المكان المناسب لاقامتهم. ولا يتوفر لهم القدر الضروري من المال والطعام. وبداهة لا يستطيعون التفكير في الزواج واقامة أسرة، يحدث كل هذا، بعد أن حصلوا على قدر من التعليم يسمح لهم بادراك أن الامور يجب أن تكون أفضل من ذلك.

عندما سقط الشاه في ايران. كان هناك مئات الالوف من مثل هؤلاء الرجال، الذين كانوا قد استقروا في المدن الكبرى، وكان هؤلاء هم العمود الفقري للثورة التي أطاحت بالشاه.

ومن بين المؤشرات الحيوية التي يستند إليها علماء المستقبل في تصنيف نظام ما على أنه غير مستقر. هو أيضاً ما فعله الشاه قبل سقوطه بسنتين، عندما ضاعف رواتب ضباط جيشه. وكان من الواضح تماماً أن الشاه بهذه الخطوة لا يسعى إلى تقوية القدرة العسكرية للجيش بل كان يسعى لشراء المزيد من ولاء الجيش.

أيضاً، من بين المؤشرات الحيوية لعدم الاستقرار، طريقة معاملة الدولة للمعارضين وأصحاب الرأي المخالف، وعندما أحس الشاه بتزايد مدى المعارضة. كانت استجابته الوحيدة هي مضاعفة حجم وقدرة وتمويل «السافاك» البوليس السري الايراني المتوحش، الذي قام بسجن المعارضين وتعذيبهم وقتلهم.

التصدير والاستيراد

ومن بين المؤشرات التي يعتمد عليها في تحديد درجة الاستقرار السياسي في دولة ما الكيفية التي تنتقل بها السلطة من نظام إلى آخر، ودرجة الكفاءة الادارية في أجهزة الدولة، ومدى تقبل شعب هذه الدولة للسلطة المركزية.

من بين المؤشرات التي يعتمد عليها مارفن سيترون وتوماس اوتول في كتابهما «لقاء مع المستقبل»، معرفة ما إذا كانت الدولة تصدر أكثر مما تستورد، وما إذا كان لديها أكثر من مصدر للطاقة، وكذلك معدلات التضخم فيها. . وفي هذا يقولان:

«خذ اسرائيل مثلاً. واحدة من أكثر الدول تعرضاً لعدم الاستقرار في العالم، لماذا؟ . . لانها تستورد خمسة أضعاف ما تصدره، وليس لديها إلا قدر صغير من مورد طبيعي وحيد هو البوتاس. ومصدر الطاقة الوحيد لديها هو الطاقة الشمسية ولا يوجد بترول أو غاز طبيعي في اسرائيل، وهي تحصل على فحمها من جنوب افريقيا، وعلى اليورانيوم من الولايات المتحدة الأمريكية ومعدلات التضخم فيها عالية للغاية.»

ومن المسائل التي تدخل في الاعتبار عند دراسة مدى استقرار الأوضاع في دولة ما، مسألة الوحدة القومية، لهذا تعتمد دراسة الوضع على الاجابة عن بعض الأسئلة، من بينها الفئات والتكوينات القومية التي تدخل في تكوين هذه الدولة، وعما إذا كانت هناك ايديولوجية عامة توحد فكر أغلبية أبناء هذه الدولة. وفي هذا المجال تحظى الأرجنتين بأقل تقدير بالنسبة لمسألة الايديولوجية الموحدة، فمعظم الأرجنتينيين من الألمان، والايرلنديين والايطاليين والاسبان، ممن يكرهون بعضهم البعض بشدة، ونفس الشيء بالنسبة لايران عند سقوط الشاه، فالشعب الايراني يتكون من طائفتين مسلمتين مع مسيحيين ويهود وأكراد وماركسيين يضمهم حزب تودة.

الطعام والمواد الخام

والمسألة السكانية من المؤشرات التي تحدد توجه الدولة ومدى استقرارها، فالدولة التي يتزايد سكانها بمعدل ٢ في المائة سنوياً تكون أقل استقراراً من الدولة التي يكون المعدل فيها ١ في المائة بسبب بسيط هو

انها تكون ملزمة باطعام عدد أكبر من الأفواه. والدولة التي يعيش معظم سكانها في المدن تكون غير مستقرة، لأن هذا يعني تكدس المدن وشيوع البطالة ونقص العمالة الزراعية التي توفر الطعام لأهل المدن.

ثم هناك عدة تساؤلات تدخل في تقييم مدى استقرار النظام في الدولة: ما هو قدر الطعام المتوفر؟ هل يحصل المواطنون على جميع السعرات الحرارية التي يحتاجون إليها؟ هل تتوفر الثروة البروتينية الكافية للجميع؟ . . وما هو الوضع بالنسبة لامدادات الطاقة؟. بصفة عامة، الدول التي تنتج من الطاقة أكثر مما تستهلك تكون أكثر استقراراً من الدولة التي تستهلك أكثر مما تنتج.

وإذا انتقلنا الى المواد الخام، يمكننا أن نصل إلى المؤشرات التالية: الدولة التي لديها مصدر واحد من المادة الخام تكون بالتأكيد أقل استقراراً من الدولة التي لديها مصدران أو ثلاثة أو حتى أربعة مصادر مختلفة من المواد الخام، التي تستخرجها وتجهزها، لاستخدامها، ثم لتصديرها حتى تحصل من ذلك على العملات الأجنبية التي تحتاج إليها.

هناك مثال واضح يصور هذه القاعدة، ويتصل بالقمح، لقد قادت الأبحاث إلى استنباط مواد تحلية من القمح أكثر حلاوة ورخصاً من السكر الذي نحصل عليه من قصب السكر، عندما حدث هذا، سقطت خمس دول، من التي كانت تعتمد أساساً على محصول قصب السكر، من عداد دول العالم الثالث إلى دول العالم الرابع، وكان الاستثناء الوحيد هو جامايكا التي خسرت سوق السكر الخاص بها في مواجهة سكر القمح،

ولكنها كانت ما زالت تحتفظ بانتاجها من البوكسيت الذي كانت تبيعه لصانعي الالومنيوم في السوق العالمية، وهكذا بقيت جامايكا ضمن دول العالم الثالث.

الطموح القومي عنصر استقرار

ومن المؤشرات القوية في تقدير مدى استقرار الدول. درجة استفادة الدولة من العلوم والتكنولوجيا، والنموذج الأمثل للدولة المستقرة، الدولة التي تستطيع طبقتها العاملة أن تستوعب أكثر النواحي التكنولوجية المتاحة. أما الدولة التي لا تتمتع بالاستقرار، فهي التي تعتمد طبقتها العاملة على المجهود اليدوي في انتاجها، ولا تستطيع هضم الأساليب التكنولوجية الحديثة

وإذا أدخلنا في الاعتبار درجة التصنيع في دولة ما، وجدنا أن الدولة التي تنتج أكثر من ٥٠ بليون دولار من البضائع المصنعة تصنيعاً نهائياً تكون مستقرة، أما الدولة التي تنتج مصانعها بضائع تقل قيمتها عن ١٠ بلايين دولار، فتكون غير مستقرة، بصرف النظر عن حجم هذه الدولة بالنسبة لباقي الدول.

ولا يجب أن نغفل مسألة الطموح القومي كعنصر من عناصر الاستقرار. فمع كل ما ذكرناه بالنسبة لايران، لا يجب أن نكون شديدي التشاؤم بالنسبة لمستقبلها ومستقبل غيرها من الدول ذات الظروف الشبيهة. فإن احساس المسلمين الشيعة بذاتهم على درجة من القوة، بحيث يسمح لهم بأن يقدموا حياتهم في سبيل مبادئهم. وهذا في حد ذاته يعتبر عاملاً من

عوامل الاستقرار، وغيابه ينظر إليه كعامل من عوامل عدم الاستقرار.

كذلك يؤثر على استقرار الدولة موقعها الجغرافي. فالدولة التي تتحكم في طريق بري أو بحري هام بالنسبة لاحدى القوتين العظميين، تكون أكثر استقراراً من غيرها، بسبب بسيطهو أن القوة العظمى المعنية ستكون أميل إلى توفير الحماية اللازمة لهذه الدولة.

هل تبقى هذه الدول؟

وقد حاول سيترون وأوتول تصنيف الدول إلى دول مستقرة، ودول لا يتوفر لها الاستقرار من واقع المؤشرات الحيوية التي أشرنا إليها، والتي جرى تغذية العقل الالكتروني بها للوصول إلى كافة التوافيق والتباديل التي بينها.

وقبل أن نتحدث عن مصير كل دولة من الدول بالتفصيل عندما يقبل علينا القرن القادم، نورد حصراً تلخيصياً قام به المؤلفان، لترتيب الدول من حيث مدى استقرارها.

أقوى الدول وأكثرها استقراراً في العالم ستظل أولاً الولايات المتحدة الأمريكية ثم بالترتيب استراليا وكندا والمملكة المتحدة. الدولة الخامسة ستكون المانيا بعد أن يتوحد شطراها ثانية. . ثم فرنسا، والاتحاد السوفييتي، الذي ستهبط أسهمه لانه تخلف في الاعتراف بالثورة التكنولويجة التي تغير أوضاع الاقتصاد العالمي، أما الصين فستعاظم قوتها العالمية، لنفس الأسباب التي ستهبط باليابان. فالصين لديها ما يخصها من فحم وبترول ومعادن. واليابان ليس لديها شيء من هذا.

أما انجلترا فستستعيد مكانتها بسبب بترول وغاز بحر الشمال، وموقفها السياسي القوي، ويقول الكتاب إن الدول العربية لن تبقى ممسكة بخناق العالم نتيجة لما لديها من بترول إلا أنها لن تتراجع في مكانتها عن وضعها الحالي.

سيكون هناك هند صينية واحدة تحكمها فيتنام.

أما ما يطلق عليه الكتاب تعبير دول العالم الرابع. وهي الدول التي ليس لديها بترول أو معادن والتي تكتظ بسكانها، مثل الهند وباكستان، وبنجلادش وسري لانكا والنيجر وتشاد، واريتريا وموريتانيا وبوليفيا، فستكون محظوظة إذا ما ظلت باقية كدول مستقلة وموحدة عند مطلع القرن الجديد.

الفصل الثالث

الشرق الأوسط. .
نصف بترول العالم
ونصف التوتر العالمي

ننتقل الآن إلى استعراض أوضاع بعض دول العالم عند بداية القرن الحادي والعشرين، وذلك بتطبيق المؤشرات الحيوية التي أشرنا إليها، والتي يفترض أنها تحدد ما ينتظر هذه الدول من استقرار وازدهار.

وقبل أن نبدأ هذا، يهمنا أن نؤكد مرة ثانية على أن هذه الرؤية، مع كل ما فيها من محاولة التزام الموضوعية والحياد، هي رؤية غربية، قامت بها مؤسسة أمريكية، تنبع من مجتمع له ايديولوجيته، وله نظامه الاقتصادي الخاص، الذي يتمسك به، ويدافع عنه، ويسعى إلى تعميمه.

ودعنا نتذكر دائماً أنه إذا كان العقل الالكتروني واحداً في واشنطن وموسكو، فالمعول على البشر الذين يغذونه بالمعلومات، والذين يحللون النتائج التي يقدمها.

ماذا يقول كتاب «لقاء مع المستقبل» عن مستقبل المانيا؟

التغيير الوحيد، الاكثر اهمية من الناحية السياسية، للسنوات العشرين القادمة، سيكون توحيد الدولتين الالمانيتين. لقد بدأت عملية التوحيد فعلاً، منذ أن قام المستشار شميت بزيارته الأولى لألمانيا الشرقية، بعد بداية الاضرابات البولندية. والخطوة التالية ستكون سياسة تسمح لمواطني الدولتين بعبور الحدود بينهما دون قيد، وزيارة الأقارب. ثم يجري

تحطيم سور برلين. وتقليص الحواجز التجارية بين البلدين وتخفيف قوانين الهجرة.

وستأتي الخطوة النهائية عندما تبدأ القوات السوفييتية في الخروج من المانيا الشرقية عام ١٩٩٠، تمهيداً لاعادة التوحيد عام ١٩٩٥.

والسؤال هو: لماذا يبارك الاتحاد السوفييتي توحيد شطري الدولة الالمانية؟ . .

الاجابة هي: لكي تخرج المانيا من حلف شمال الأطلنطي، وتصبح منطقة محايدة، منزوعة السلاح النووي، بين الشرق والغرب. وهكذا تصبح الدولة الألمانية الموحدة من بين دول عدم الانحياز.

توحيد الدولة الألمانية

ومما يساعد على توحيد شطري الدولة الألمانية، ما يظهر حالياً من مؤشرات توحي بالتخفف من القيود السابقة. حالياً، بامكان سكان المانيا الغربية أن يزوروا اقاربهم في المانيا الشرقية، كما أن الدولتين قد بدأتا تبادلاً تجارياً. الاحساس بالذنب الذي كانت تشعر به المانيا الغربية نتيجة لمذابح الحرب العالمية الثانية، والذي ساعد على تكريس الانفصال بدأ يتبدد. ولم تعد حكومة المانيا الشرقية تتبنى السياسة المتشددة التي كانت تلتزمها خلال العشرين سنة الماضية. كما أن قبضة الاتحاد السوفييتي على المانيا الشرقية لم تعد كما كانت من قبل.

ولن تتم وحدة المانيا إلا عندما يسمح بها الاتحاد السوفييتي، الأمر

الذي بدأت تظهر بشائره فالاتحـاد السوفييتـي يبيع بترولـه إلـى المـانيا الغربية، وقد بدأ مد الأنابيب التي ستحمل الغاز الطبيعي السوفييتي إلى المانيا الغربية. ما هي دلالـة ذلك؟ سينتهـي الأمـر بالمـانيا الغـربية بأن تصبح معتمدة على البترول والغاز السوفييتي، كما تعتمد فرنسا على بترول الشرق الأوسط.

اضف إلـى هذا أن الاتحـاد السوفييتـي قد تبين حاجته إلـى المـانيا الغربية، كحاجته إلى بضائعها الاستهلاكية، وبخاصة تلك التـي تعتمـد على عمليات تكنولوجية متقدمة.

ومما سيساعد على هذا التقارب، أن أعضاء الحكومة السوفييتية الذين يتذكرون الخراب الذي لحق بروسيا في الحرب العالمية الثانية علـى يد الألمان، تبلغ اعمارهم في المتوسط ٧٥ سنة. وهم قد بدأوا يتخلون عن اماكنهم، بالوفاة أو التنحي، لجيل اكثر شباباً، لا تدور ذاكرته حول بؤرة ستالينجراد.

الروس أقلية في الاتحاد السوفييتي

وماذا عن الاتحاد السوفييتي ذاته؟

الاتحاد السوفييتي مقبل على أيام صعبة. فهو سيواصل تبنـي سياسـة سباق التسلح على حساب الاستهلاك، الأمر الذي سيظل يمتص الدماء من جسد الاقتصاد السوفييتي عاماً بعد عام. كما أن الاتحاد السوفييتي قد تجاهل طويلاً الثورة التكنولوجية الحديثة التي تعم باقي الدول المتقدمة.

وفيما عدا مجال التسلح، ليس لدى الاتحاد السوفييتي قاعدة تكنولوجية صلبة.

لقد أعطى السوفييت عقد أنابيب بترول سيبيريا إلى شركة «كاتربيلار» للمقاولات، لأنهم لم يستطيعوا مد هذه الأنابيب بأنفسهم. كما أن برنامجهم للفضاء ليس متفوقاً، ويتخلف عن البرنامج الأمريكي بخمس سنوات على الأقل.

لقد كان للاتحاد السوفييتي فضل الريادة والتقدم في ابحاث الاندماج النووي منذ عشرين سنة. وهو الآن يتراجع إلى الخلف في هذا السباق. كما أن الروس ما زالوا يعانون من نقص في مجالات الغذاء والاسكان.

ثم هناك نقطة هامة تكتسب اهمية متزايدة على مر الأيام فابتداء من هذا العام، ١٩٨٥، يصبح الجنس الروسي أقلية في الاتحاد السوفييتي. وبهذا سيواجه الاتحاد السوفييتي لأول مرة حالة من عدم الاستقرار الشديد، تأتي عادة مع حكم الأقلية.

الصين تعبر إلى العصر الالكتروني

وعلى العكس من هذا يكون موقف الصين. التي كانت تعتبر منذ حوالي ٣٠ سنة من بين الدول المتخلفة، ثم قفزت فقرة هائلة، جعلتها تدخل القرن الحادي والعشرين اقوى مما كانت في أي وقت مضى. وأيضاً، بعكس اليابان، لدى الصين بترولها الخاص ومعادنها، بل أنها لا تدفع مالاً لاستخراج بترولها من باطن الأرض. فقد طلبت الصين من

شركات التنقيب عن البترول أن تحفر في أراضيها بحثاً عنه، على أن تتقاضى هذه الشركات أجرها من البترول الذي تعثر عليه.

كما أن الصين قد عبرت إلى العصر الالكتروني في خطوة واحدة، بشراء المصانع الأمريكية الكاملة، واستقدام المديرين من أمريكا لتشغيل هذه المصانع إلى أن يتدرب المديرون الصينيون على هذه المهام، ويحلوا محل الأمريكيين.

ومع أن الصين بها الآن، مليون خط تليفوني تخدم ألف مليون مواطن، إلا أنها بدأت في انشاء شبكة جديدة من الخطوط التليفونية التي تعتمد على كابلات الألياف البصرية، لتحقق بهذا ثورة في الاتصالات التليفونية. وهي تخطط حالياً لكي يكون لديها في الثمانينيات قمران صناعيان على الأقل من اقمار الاتصال، يعملان على تغطية كافة احتياجات الصين الاعلامية. كما بدأت في استخدام اكبر جرارات زراعية في العالم، لتحقق لنفسها اكتفاء ذاتياً في امدادات الطعام.

الشرق الأوسط.. أسخن مناطق العالم

وعند استعراض الكتاب مستقبل الدول عند مطلع القرن القادم، يقتصر على أهم الدول، التي يكون لوضعها وحجمها ودرجة تطورها، تأثيره على مجموعة من الدول الأخرى. فيكتفي الكتاب باستعراض مستقبل السويد، معتبراً أنه بذلك يتحدث عن مستقبل الدنمرك وفنلندا والنرويج، لأن هذه الدول تتبع نفس نمط السويد، وتتأثر بها.

يقول المؤلفان «دعنا نبدأ بمنطقة الشرق الأوسط، اكثر المناطق سخونة في العالم كله، ومصدر ما يقرب من نصف بترول العالم، وما لا يقل عن نصف التوتر العالمي» فليس هناك مكان على الأرض كالشرق الأوسط حيث تقوم دولة إسرائيل الصهيونية، محاطة بدول البترول العربية الغنية. لقد قامت حتى الآن ثلاث حروب كبرى بين الدول العربية وبين عدوتهم اللدود.. وتتواصل حالة مستمرة من التوتر بين الطرفين، لعل خير ما يعبر عنها ذلك الهجوم الاسرائيلي عام ١٩٨١ على مفاعل الابحاث النووية الذي كانت فرنسا قد بنته للتو من أجل العراق، على بعد حوالي ٢٠ كيلو متراً من العاصمة بغداد. لم يحدث في أي بقعة من العالم، أن هاجمت دولة مفاعلاً ذرياً تقيمه عدوة لها.. ولعل هذا من بين ما يصور درجة عدم الاستقرار العالية التي يعاني منها الشرق الأوسط.

إسرائيل دولة غير مستقرة

ولا يمكن أن يتحدث الانسان عن عدم الاستقرار في الشرق الأوسط دون أن يشير إلى حالة عدم الاستقرار التي تهدد دولة إسرائيل.

إن ما يبقي على إسرائيل متماسكة حتى الآن. آلتها العسكرية المتميزة، وقدرتها على تسديد الضربات الخاطفة لمن حولها.

إذا القينا نظرة متفحصة على إسرائيل، سنجد أنها لا تمتلك مصادر طاقة خاصة بها، وليس لديها أي مصادر طبيعية تقريباً، اقتصادها مريض بشكل مزمن، لا ماء، وأعلى معدل للتضخم في العالم. صادراتها الرئيسية

هو الزهور والفواكه الحمضية التي تبيعها إلى أوربا الغربية ، فإذا تمكنت اسبانيا والبرتغال من دخول السوق الأوربية المشتركة، كما هو متوقع، وهو ما حدث بعد صدور الكتاب ، فستفقد إسرائيل سوق تصدير زهورها وحمضياتها . لأن أسبانيا والبرتغال ستقدمان انتاجها بعد ذلك إلى السوق المشتركة بسعر تفضيلي.

وإسرائيل دولة منقسمة على نفسها من الناحيتين السياسية والدينية. وليس هناك ما يوضح هذا الوضع اكثر من الواقعة التي جرت في يوم الغفران عند بداية حرب ١٩٧٣ . فأول خسائر بشرية إسرائيلية سجلت في هذه الحرب ، كانت تتعلق بالجنود الذين يمتطون الدراجات البخارية، والذين قتلوا بينما كانوا في طريقهم إلى الجبهة، نتيجة للسلاسل التي مدها عبر الشوارع بعض المتعصبين اليهود. الذين اعترضوا على الذهاب إلى الحرب في يوم السبت (وهو اليوم الذي يحرم فيه العمل طبقاً للشريعة اليهودية) كما أن الاصطدامات التي تقوم بين اليهود والعرب في الأراضي المحتلة تتزايد يوماً بعد يوم.

وهناك تبايناً هائلاً في معدلات المواليد بين اليهود والعرب المقيمين في إسرائيل، فالمرأة اليهودية تنجب بمعدل ١,١ طفل، بينما تنجب المرأة العربية بمعدل ٦,٨ طفل. وهذا لا يتسبب فقط في زيادة ما هو قائم فعلاً من توتر خطير، بل هو يجعل يهود اسرائيل اقلية في دولتهم بحلول عام ٢٠٠٠

هل تفقد تعاطف الغرب؟

كما أن هناك صراعات متزايدة بين اليهود أنفسهم، فالتقارير تتوالى عن تزايد مظاهر التفرقة العنصرية التي يعاني منها يهود المشرق على يد اليهود الحاكمين القادمين من أوربا وأمريكا. . . وأيضاً، داخل يهود إسرائيل، يعتبر يهود المشرق أكثر تناسلاً وتزايداً عددياً، مما يوحي بأن يهود المغرب لن يتمكنوا من الاحتفاظ بسيطرتهم السياسية والاقتصادية في المستقبل.

وفوق هذا وذاك، بدأ اصدقاء إسرائيل في الغرب يفقدون صبرهم تجاه السياسات الاسرائيلية ضيقة الأفق بالنسبة للمناطق المحتلة، وبالنسبة لانشاء المستعمرات في الضفة ـ الغربية، وبالنسبة لموضوع الفلسطينيين، وهكذا تضع إسرائيل شوكة كبرى في طريق وجودها. فما زال بامكان إسرائيل أن تتخلى عن الضفة الغربية، وأن تسمح بدولة فلسطينية مستقلة فوق تلك الأرض، وأن تقوم في نفس الوقت بمحاولات جادة للتعايش مع جيرانها العرب.

إذا ما عادت إسرائيل إلى صوابها، وحدث ذلك، استطاعت أن تقيم سوقاً لتصدير اسلحتها الحديثة. وامكنها أن تدخل القرن الحادي والعشرين اقوى مما كانت في أي وقت آخر. أما إذا واصلت سياساتها المتشنجة فإنها ستفقد تعاطف الغرب المتعطش إلى البترول، وتصبح تحت رحمة الغضب المتزايد للعالم العربي.

صانعة المتاعب

ويتكلم الكتاب عن ليبيا باعتبارها صانعة المتاعب في الشرق الأوسط فحب القذافي للمغامرة يبدو متزايداً مع الزمن، وتعقبه للمعارضين داخل وخارج ليبيا، وتصفيتهم جسدياً، وغزوه لتشاد جارته، كل هذا افقده سفاراته في الولايات المتحدة ونيجيريا والنيجر وموريتانيا. ولا يجد القذافي لنفسه صداقات في جامبيا والسنغال والسودان ومالي، وبصفة خاصة في مصر. لقد كفت فرنسا منذ وقت عن محاولتها للوصول إلى تفاهم مع القذافي، وهي تنظر إليه الآن كعدو لدول شمال افريقيا التي تتكلم الفرنسية. وما زال لدى القذافي البترول الوفير الذي ينفق منه على مخططاته، ولكن هناك بعض العلامات التي تفيد أن احتياطات البترول الليبي ليست بالضخامة التي يتصورها البعض. ومن بين هذه العلامات، أن ليبيا بدأت البحث عن البترول في مناطق الحدود المتنازع عليها، مما قد يجلب عليها المتاعب.

ورغم وجود بعض مؤشرات عدم الاستقرار في ليبيا، إلا أن الشعب الليبي يبدي وحدة قومية ملحوظة وقد يوصف القذافي بأنه مغامر وارهابي ومتعصب دينياً، إلا أنه يبدو مع هذا زعيماً قوياً.

ومع ذلك، فالقذافي هو ذاته ألد اعداء نفسه. وهو لا يجد الآن حليفاً إلا في سوريا وايران ومسلمي لبنان. وإذا ما تمادى في مغامراته، وحاول الاعتداء على أي من الدول القوية المجاورة، فمن المستبعد أن تهب سوريا إلى نجدته في صراعه.

إذا حدث هذا. ونحن نتوقعه، فإن نظام القذافي سينهار.

كل شيء محتمل

أما في ايران، فكل شيء محتمل خلال العشرين سنة القادمة.

من بين الاحتمالات التي قد تتعرض لها ايران، حدوث انقلاب يعيد الشاه الصغير، ويحل البرلمان (المجلس)، مما يترتب عليه تمزق الدولة بين الاكراد والاذربيجانيين وتجمع الجناح اليساري الاسلامي، والذي يتضمن حزب توده الشيوعي، والفدائيين، والتنظيمات الاسلامية اليسارية كالمجاهدين. ستظل الفوضى سائدة على المسرح السياسي الايراني للسنوات العشر القادمة على الأقل.

إذا لم يحدث ذلك التمزق، سيظل حزب الجمهوريين الاسلاميين اليميني المتطرف مسيطراً، وسيحاول أن يصدر ثورته إلى خارج ايران، بعد موت الخوميني، وبعد أن يحل محله داعية جديد اكثر شباباً.

ستعاني ايران اقتصادياً، فمن المتوقع أن تتقلص عائدات البترول، وترتفع نسبة البطالة، وأن يصل التضخم إلى معدل لا يقل عن خمسين في المائة. وإذا كانت إيران تبدو معرضة للتقلبات خلال الثمانينات، فإنها ستبدو اكثر تعرضاً في التسعينيات. حينئذ، لا يتوفر لها القدر الكافي من الثروة البترولية. التي تتيح لها فرصة ثانية للقيام بحركة تصنيعية كالتي بدأها الشاه، وتوقفت في عهد الخوميني.

عندما يقتضي الأمر اطعام ٣٠ مليون فم، تعتبر الصناعة الأمل الوحيد أمام الدولة الايرانية.

ومع كل عوامل عدم الاستقرار التي تسود الشرق الأوسط فإنه لن يصل في اهتزازه واضطرابه إلى ما نتوقعه لمعظم دول افريقيا السوداء، على مدى السنوات العشرين القادمة.

فلا توجد في العالم قارة من القارات تضم مثل هذا العدد من الدول غير المستقرة، والتي نطلق عليها دول العالم الرابع، الدول التي ليس لديها من مصادر الدخل سوى تعداد سكانها، الذي يكون لسوء الحظ اكثر مما يجب.

الدول مثل موريتانيا وتشاد والنيجر واريتريا وجمهورية افريقيا الوسطى والسنغال ومالي وجامبيا وفولتا العليا؛ كلها دول افريقية تقع في ذيل قائمة الدول من حيث درجة الاستقرار، لأنها لا تمتلك المواد الخام أو مصادر طاقة في أراضيها.

توجد هناك ثلاث دول افريقية فقط نتوقع لها استقراراً عالمياً حقيقياً هي: نيجيريا وجنوب أفريقيا وزيمبابوي (والتي كانت تعرف أيام الاستعمار الانجليزي باسم روديسيا). وحتى هذه الدول الثلاث تواجه فترات رئيسية من عدم الاستقرار. فالتزايد السكاني المطرد في نيجيريا يهدد بتناقص امدادات الطعام، وعائداتها من البترول. وسياسة التفرقة العنصرية تزيد من التوتر السياسي وعدم الاستقرار في جنوب افريقيا، كما أن تعدد الفئات القبلية التي تقاتل بعضها في زيمبابوي ستضعف من قوتها السياسية.

مشاكل نيجيريا

إن النجاح الذي صادفته جهود نيجيريا حتى تبقى عضواً قوياً في العالم الثالث، يبدو أنه يعتمد على العديد من المعجزات.

ففي مواجهة وضعها كدولة مستوردة للطعام الذي يكفي لاطعام شعبها المطرد الزيادة (حوالي ٦٠ مليون حالياً)، شرعت نيجيريا في تطبيق ثورة خضراء، بهدف أن تحقق لنفسها الاكتفاء الذاتي في حاجتها من الطعام، لكنها لم تتوصل إلى تدبير المال اللازم لانجاح هذه الثورة الخضراء. وفي نفس الوقت، تعتدي الصحارى الشمالية على الأرض الزراعية الموجودة.

وما زالت نيجيريا تفتقد القدر الكافي من العمالة الماهرة التي تحتاج لها في استخراج بترولها، وقد ينتهي بها الأمر إلى الاعتماد على العمالة التي تستقدمها من الخارج. وسياستها في تحديد اسعار بترولها متذبذبة، مما يؤدي في بعض الأحيان إلى فائض في الانتاج، يقود بالتبعية إلى الاستغناء عن بعض العاملين في حقول البترول، مما يخلق حالة من عدم الاستقرار.

وحالياً، تقوم الحكومة المدنية الشابة باجراءات مترددة لنقل البلاد إلى الحكم المدني، بسبب الانشقاقات الكثيرة داخل ما يعتبر عدداً من الأحزاب السياسة، ففي كل ولاية من الولايات النيجيرية، البالغ عددها ١٩ ولاية، يوجد على الأقل حزبان رئيسيان، ومع ذلك، فما زالت الحكومة المدنية مطالبة بتقسيم البلاد إلى عدد اكبر من الولايات، ومطالبة

بألا تسمح للقوى البيروقراطية بأن تخرج عن سيطرتها، وبأن تحقق نوعاً من العدالة في توزيع خطط التنمية بين الولايات المتخلفة، وأن توظف عدداً متساوياً من كل ولاية في الوظائف الحكومية. فهل تقوى الحكومة النيجيرية على تحقيق هذه المطالب المتزايدة؟.

صراع الشمال والجنوب

ثم هناك أيضاً، الانشقاق الكبير بين الشمال والجنوب، والذي يزيد تعاظماً. وحتى مع التأييد الشعبي الواسع، الذي تكتسبه فكرة التعليم الالزامي العام، إلاّ أن هذه الفكرة لن تفيد كثيراً في إعادة التوازن بين الشمال والجنوب، فالجنوبيون يندفعون للحصول على المكاسب من خلال السياسة التعليمية الجديدة وعلى حساب الشماليين. ومع وجود أزمة شاملة في المدرسين، فالأزمة تبدو اشد في الشمال.

والعديد من أهل البلاد قد هاجروا من الريف إلى العاصمة لاجوس، التي سيصل تعداد سكانها عام ١٩٨٦ إلى أربعة ملايين، والتي تتزايد فيها معدلات البطالة والجريمة بشكل مطرد مع تزايد عدد السكان. ويقول الكتاب إن نيجيريا مصابة بمرض يطلق عليه اسم «الآمال المتعالية».

وتعتبر نيجيريا اليوم من الدول الغنية نتيجة لثروتها البترولية. وإذا لم توفق في العثور على مستودعات كثيرة جديدة للبترول في أراضيها، فلن تصبح من الدول الغنية بترولياً، في طرف عشر سنوات. الأمر الذي سيشيع الفوضى في أنحائها، ويعيد اليها حقبة الحروب الأهلية التي عرفتها في تاريخها القريب.

التوقعات الطيبة والسيئة

تواجه زمبابوي حالة قريبة من الاستقرار، لكنها يمكن أن تصبح اكثر استقراراً من نيجيريا عند بداية القرن القادم. ومنذ الوقت الذي تسلم فيه روبرت موجابي زمام الحكم من البيض، تحقق القليل من التوقعات الطيبة والسيئة بالنسبة للحكومة الجديدة.

الأقلية البيضاء الضئيلة، والتي ما زالت تمثل لب التكنوقراطية في البلاد، لم تغادر البلاد عندما تسلم موجابي السلطة. فقد بدأ الرئيس الجديد مستعداً لاعطاء الضمانات بتوفير عدد من مقاعد البرلمان للبيض، ولتعويض المزارعين البيض عن الأراضي التي تسلمها السود، وتعويض الموظفين البيض عن وظائفهم التي اسندت إلى السود.

وفي نفس الوقت، ينشغل آلاف المحاربين فيما وراء الحدود بالحرب فيما بينهم، بدلاً من محاربة الحكام البيض. والاستثمارات الأجنبية تقف متلكئة، رغم الفرص الواسعة التي كان بامكانها الاستفادة منها، بالنسبة لثروات البلاد الطبيعية. المستثمرون يقفون موقف المراقب في انتظار خطوات موجابي التالية في البلاد. خاصة وبعد أن جاء على لسان موجابي ذكر تأميم المناجم، مما جعل بعض المستثمرين يجفلون لمجرد طرح الفكرة.

لقد وعد موجابي بتعليم أولي بالمجان، وبرعاية طبية مجانية، بالرغم من النقص الشديد الذي تعاني منه البلاد بالنسبة للمدرسين والأطباء والممرضين. وزمبابوي تعاني من نفس المرض الذي تعاني منه نيجيريا،

مرض «الآمال المتعالية». والتي تفوق القدرات الفعلية. وللأسف، ستمضي زمبابوي السنوات القليلة القادمة في حالة اقرب إلى الفوضى، حتى يطبق النظام الذي يجب أن يسود البلاد.

جنوب افريقيا . . دولة المتناقضات

في قارة المتناقضات، لا تظهر دولة من دول القارة الافريقية ما تبديه جنوب افريقيا من متناقضات.

لقد تدفقت الاستثمارات الغربية على جنوب افريقيا؛ جاعلة من اقتصادها المتصاعد، أحد اقوى النظم الاقتصادية في العالم. وسياستها الجديدة، التي لم تتضح معالمها بعد، توحي بتغيرات في سياستها العنصرية، صادراتها من الذهب والمعادن والطعام في أوج قمتها.

ورغم أن صحافة أفريقيا السوداء تهاجم يومياً جنوب أفريقيا، فإن حجم تجارة جنوب أفريقيا مع أفريقيا السوداء بلغ اليوم حجماً كبيراً لم يحدث من قبل. وهجمات الفدائيين السود في عام ١٩٨٠، التي حطمت العديد من مشروعات استخراج الفحم السائل، لم تتكرر عام ١٩٨١.

وبالاضافة إلى امتلاك جنوب افريقيا لمستودعات كبيرة من الفحم، جعلتها الدولة الخامسة عالمياً في هذا المجال، فهي تمتلك أيضاً اكثر مصانع العالم تطوراً في تحويل الفحم إلى وقود سائل. ولأنها غنية جداً بمعادنها، فهي توفر العمالة لمئات الآلاف من العمال السود، من بتسوانا، وليسوتو، وزمبابوي، وانجولا، وسوازيلاند، وموزمبيق. وهي تمد هذه

الدول أيضاً بالخدمات التليفونية والكهرباء.

من الواضح أن جنوب أفريقيا تتمتع هذه الأيام بحالة انتعاش، نتوقع أن يتواصل في الثمانينيات.

هل انتجت القنبلة الذرية؟

وفي نفس الوقت توجد بعض المؤشرات المزعجة، التي تعم جنوب أفريقيا كلها. فما زالت الشرطة من البيض لا تخجل من قتل السود لاخماد المظاهرات والاضرابات. وما زال السود يعانون من الفقر، وما زالت تحدد اقامتهم خارج المدن.

ومن الواضح أن دولة جنوب أفريقيا بصدد انتاج القنبلة الذرية، إذا لم تكن قد انتجتها فعلاً. ولا توجد أية مؤشرات توحي بأن الحزب الوطني، الذي ظلت السلطة في يده على مدى ثلاثين عاماً، يتعرض لأي تهديد بفقدان قوته. وبالرغم من وجود رأي عام متزايد في داخل اوساط الحزب حول سياسة التفرقة العنصرية التي ينتهجها، فإن الحزب يلاقي مساندة كاملة في كل سياسة عنصرية يختارها.

وما زالت البطالة مرتفعة بين السود، وهو امر طبيعي طالما أن الأعمال التي تحتاج إلى مهارات تكنولوجية في اقتصاد جنوب أفريقيا محرمة على السود. ومع ذلك، فلا يوجد لدى حكومة جنوب أفريقيا القدر الكافي من العمالة البشرية الماهرة من البيض. وإذا ما اضطرت جنوب افريقيا إلى استخدام جيشها في أي وقت قريب، فإن هذه الندرة في العمالة الماهرة

ستتحول إلى أزمـة حقيقية، ممـا سيوقف الازدهـار الحالـي في اقتصـاد البلاد.

وإذا كانت جنوب أفريقيا تتمتـع اليوم بحالـة من الازدهـار، فإن هذا الازدهار لن يستمر إلا إذا حدثت تغيرات أساسية في سياستها العنصرية. وإذا لم تتبدل السياسة العنصـرية فإن هجمـات الفـدائيين علـى مناجـم الذهب والفحم السائـل ستعـود. وسيكون لدى الفـدائيين هدف جديد يسيل لعابهم، نعنـي بذلك مصانـع اليوارنيوم المتكاثـرة. إذا تمـكن الفدائيون من نسفهـا أو تخريبهـا، فسيكون في هذا هزيمـة سيكلـوجية ضخمة للنظام الحاكم. ويجب التأكيد هنا على أنه إذا كان لجنوب أفريقيا أي تأثير عالمـي فإنهـا تستمـده من قوتهـا الاقتصـادية. وأي اهتـزاز في اقتصادها سيؤدي إلى حالة من عدم الاستقرار.

وإذا واصلت حكومة جنوب أفريقيا البيضـاء تعلقهـا بالتعصـب الذي كرست نفسها له، من أجل تحقيق المجتمـع الانفصالـي، فإن حكومـة الاقلية البيضاء ستسقط في وقت ما بين ١٩٩٠، ٢٠٠٠.

* * *

ثم، ننتقل بعد ذلك إلى مصائر باقي دول آسيا وأوروبا.

الفصل الرابع

آسيا وأوروبا . .
إلى أين؟

القليل من مناطق العالم ستكون أقل استقراراً من دول القارة الاسيوية خلال العشرين سنة القادمة. وعند دراسة المؤشرات الحيوية لدول القارة، يصعب، أو يستحيل تقريباً، التنبؤ بأي نوع من الاستقرار في الهند وباكستان وبنجلاديش وسري لانكا. أما كيف استطاعت هذه الدول أن تدبر أمر استمرارها كدول منفصلة حتى الان فهو سر من الأسرار فليس لدى أي دولة من هذه الدول المواد اللازمة من الطاقة، أو المواد الخام الصرورية، أو القدرة الصناعية. . الشيء الوحيد الذي تمتلكه كل منها هو: تكدس من الادميين تعجز عن إطعامه.

الهند، لا يساعدها على أن تبقى على حالها، سوى حجمها وموصعها من العالم، ولأنها ما زالت أكبر دولة ديمقراطية على الارض، وبسبب موقعها الذي يتيح لها أن تتحكم في المحيط الهندي. وقد استطاعت الهند أن تلعب على التناقض بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية، فتحصل على المعونات من كل منهما. ونفس الشيء ينسحب على باكستان، وإن كان على قياس أصغر.

والهند، بالإضافة إلى الفقر الذي يصل إلى حد الإدقاع، تعاني من الصراعات الداخلية البالغة الحدة. سكان الحصر يحتقرون سكان

الريف. والهندوس يكرهون المسلمين. ونظام الطبقات الاجتماعية المغلقة يمنع تكوين طبقة وسطى، يمكن أن تخرج البلاد من فقرها.. بالإضافة إلى أن الهنود يتكلمون عدداً كبيراً جداً من اللغات، مما لا يعطي البلد إحساساً بالهوية القومية. حتى سمعتها الديمقراطية قد بدأت تهتز. والغلطة الكبرى التي ارتكبتها أنديراغاندي، هي إنفاق الأموال المخصصة للمشاريع الزراعية في تطوير صناعة القنبلة الذرية. وقد أثار تفجير القنبلة الأولى، غضب الشرق والغرب معاً، وهما المصدر الوحيد للتمويل المنتظم بالنسبة للهند. والنتيجة الأخيرة لتفجير القنبلة الذرية الهندية، هي تشجيع الباكستان على أن تبدأ قنبلتها الذرية، وهي حركة من باكستان الفقيرة، ستثبت الأيام أنها أكبر من خطأ القنبلة الهندية.

أستراليا تنطلق

وعندما يتأمل الإنسان المستقبل المظلم الذي ينتظر الهند، يصعب عليه عدم عقد مقارنة مع المستقبل المضيء الذي ينتظر مستعمرة سابقة أخرى من مستعمرات الكومنولث البريطاني، نعني بذلك أستراليا.

كل ما ينقص الهند، تجده في أستراليا بوفرة.. الفحم، والبترول، والغاز الطبيعي، واليورانيوم، والبوكسيت، والنحاس، والحديد، والكروم... وكل ما تتفوق به الهند هو تعداد سكانها.

ومن بين ما يحقق المركز القومي المستقر لأستراليا انخفاض عدد سكانها، والذي لا يتجاوز ١٤ مليوناً، معظمهم يعيش في المدن الكبرى على امتداد السواحل.

وتكاد تكون معظم المؤشرات الحيوية الخاصة بأستراليا مشيرة إلى الصعود. لديها أكثر النظم السياسية استقراراً، ولديها إحساس قوي بالوحدة الوطنية، وليس بها انقسام كبير في أجناس سكانها، أو عقائدهم، أو أديانهم. والجميع يتكلم نفس اللغة. كما أن استراليا كان لها أيضاً حسن الإدراك الذي جعلها تفتح أبواب البلاد للهجرة من الهند الصينية، وتعترف بحقوق السكان الأصليين للبلاد.

ومن المتوقع أن تصبح أستراليا أكثر قوة مع مرور الأيام. وهي تتمتع باكتفاء ذاتي في كل أشكال الطاقة وسيصبح بإمكانها أن تصدر الفحم واليورانيوم والعديد من المعادن على مدى السنوات الطويلة القادمة. ولديها وفرة من الحديد والغاز الطبيعي، مما يوفر مستلزمات صناعة الصلب، الذي تستطيع أن تنتجه بأسعار منافسة عالمياً. وحتى الطعام سيصبح من أهم صادرات أستراليا. ونظراً لأنها بطبيعتها محصنة ضد الغزو، فإن نقطة الضعف الوحيدة فيها قد تكون جيشها، الذي يعد من أصغر الجيوش بالنسبة لدولة في وضعها.

وخلال العشرين سنة القادمة، ستصبح أستراليا أكثر دول العالم ازدهاراً، وسيتاح لها أن تحتل دور الزعامة الإقليمية.

اليابان تستورد ٩٦ في المائة من طاقتها

وازدهار أستراليا في العشرين سنة القادمة، سيقابله هبوط في وضع اليابان. ولا عبرة هنا بما يبديه اليابانيون من عدم تصديق لهذه الحقيقة.

ستكون المعجزة الحقيقية في الوقت الذي ستبقاه اليابان في القمة.

اليابان تعتبر أكثر دول العالم اعتماداً على الغير في استيراد الطاقة، كما أنها تفتقد ما تحتاج إليه من معادن ومواد خام. ومع كونها أكبر دولة مصدرة في العالم، فهي مرغمة على استيراد كل مادة خام تستخدمها لإنتاج ما تصدره. ومع ما في هذا الوضع من سوء، فإن الأمور ستزيد سوءاً مع الزمن. فاليابان تستورد الان ٩٦ في المائة من طاقتها، وفي عام ١٩٩٠ سيكون عليها ان تستورد ٩٨ في المائة.

وهناك تحديات أخرى على اليابان أن تواجهها. فخلال السنوات العشر القادمة، سيحال إلى المعاش من ٢٠ إلى ٢٥ في المائة من طاقتها البشرية العاملة، بمعاشات تصل إلى ٨٠ في المائة من الأجور الأساسية. ومن المعتقد أنه سيكون من الصعب على اليابان أن تفي بهذا، مما سيؤدي إلى وضع لن يحصل فيه العامل على ما يتوقعه من زيادة في الأجر تناسب الارتفاع في انتاجيته. لماذا؟ . . . لأن إنتاجية هذا الشعب العجيب قد وصلت إلى غاية إرتفاعها. لقد جمدت شركة تويوتا رواتب العاملين الذين يتجاوزون الاربعين من العمر بداية من عام ١٩٨٥، كما ستلجا داتسون إلى تجميد شبيه. وستضطر اليابان إلى التحول إلى مصانع التسيير الذاتي (أوتوماشين) عن طريق الإنسان الالى (الروبوت)، حتى تحتفظ بمستوى إنتاجيتها، الأمر الذي سيرفع نسبة البطالة من معدلها الحالي وهو ٢,٥ في المائة، إلى ١٢ في المائة عام ١٩٩٥.

ومن المتوقع أيضاً أن ينخفض الإنتاج، فإنتاجها الذي كان يرتفع

بمعدل ١٠ في المائة كل سنة منذ عشر سنوات، هبط منذ بداية الثمانينات إلى ٥ في المائة، ومن المتوقع أن يهبط إلى ما هو أقل من ٢ في المائة عندما نصل إلى عام ١٩٩٠.

من الواضح أن ضياء المعجزة اليابانية آخذ بالخفوت. ومع ذلك، ستظل اليابان قوة توازن رئيسية في آسيا، وبالنسبة للعالم الصناعي كله. والعديد من مؤشراتها الحيوية سيظل متجهاً إلى أعلى. ففيها واحدة من أعلى نسب محو الأمية في العالم، وتقييمها للتعليم لا تحظى به إلا دول معدودة في العالم. ولدى اليابان أعلى مدى من العمر البشري، ولعل مرجع هذا جزئياً إلى أن معدل الجرائم بها يعتبر من أقل المعدلات العالمية.

الصين عائمة فوق ثروة معدنية

ومع انحصار تأثير اليابان على العالم، يتزايد تأثير الصين عليه. فبينما لا تملك اليابان أي مصدر من مصادر الطاقة أو المواد الخام أو الزراعات التي تحتاج إليها، نجد الصين عائمة فوق ثروة طائلة من البترول والغاز والفحم، وأية مادة خام تحتاج إليها في صناعتها. كما أن إمكانياتها الزراعية مستقبلاً، كبيرة إلى حد بعيد.

وتعتبر الصين متخلفة بثلاثين سنة بالنسبة لباقي العالم الصناعي، ولعل مرجع ذلك جزئياً إلى قرار ماوتسي تونج، الذي قضى بإغلاق أبواب الصين على نفسها، حتى تنتهي من تنظيف نفسها من الفساد السياسي السابق.

كما أن اليابان لن تنحدر بين يوم وليلة، فالصين لن تصعد بين يوم وليله. ولكن نتذكر شيئاً واحداً لحساب الصين، وهو أن المؤشرات الحيوية لشعبها، تتضمن تقبلاً صبوراً للاهداف المؤجلة، الأمر الذى لا يطمع في الوصول إليه إلا عدد محدود من الدول.

ورغم أن الصين غير متعجلة للتموق على جارتها، إلا أنها ستتفوق عليها.

ومن أهم التغيرات التي أخذت تظهر معالمها في الصين، فصل الحكومة عن الحزب الشيوعي. فالوظائف الحكومية لن تسند لقادة الحزب، والعكس صحيح، الأمر الذي سيؤدي بلا شك إلى كفاءة كل من الحكومة والحزب.

البطل الرياضي العجوز

ولكن، ماذا عن الإتحاد السوفييتي؟ وماذا عن الدول التي تدور في فلكه؟

سيظل الإتحاد السوفياتي من أكبر القوى العالمية، ويخطىء من يتصور عكس هذا. فبالرغم من النقص المزمن في الحبوب، والذي لا يمكن أن يتوقف بسبب الرياح القطبية الشمالية. فالإتحاد السوفييتي من الدول المكتفية ذاتياً، لديه ما يكفيه من البترول والغاز والفحم واليورانيوم، وما يسمح بتصدير الطاقة إلى العالم الغربي. كما أن الإتحاد السوفييتي لا يعاني نقصاً في المواد الخام.

ومن الناحية السياسية، تشبه مؤشراته المؤشرات الحيوية للبطل الرياضي اللائق صحياً رغم تقدمه في السن، قادته يتقدم بهم العمر، ولا بد أن يخلفهم قادة الجيل التالي (كان صدور الكتاب قبل تولي جورباتشوف للسلطة طبعاً) . والسؤال الوحيد المطروح هو: ما مدى اقتدار قادة الجيل التالي وما هي توجهاتهم؟ يبدو أن من بين المهام الحتمية، إعادة النظر في السياسة الاقتصادية، لوضع المزيد من التأكيد على الجانب الإستهلاكي. فنقطة الضعف الكبرى في الإتحاد السوفييتي. هي تجاهله لغريزة الاستهلاك عند المواطن.

وقدرة الإتحاد السوفييتي على ممارسة قواه عالمياً في العشرين سنة التالية لن تعتمد عليه وحده، بل على استجابات الغرب والصين. ولا شك أن الدولة الألمانية سيكون وجودها دعماً للتأثير السوفييتي، لكن التمرد البولندي سيضعف ذلك التأثير.

وهناك الكثير من الشك حول مستقبل العلاقات بين الإتحاد السوفييتي وبين دول حلف وارسو، وليس مع بولندا وحدها. لقد تحللت رومانيا ويوغسلافيا بالفعل من الارتباط بالسفينة الأم، وتراود المجر نفس الأفكار. وإذا ما حذا الآخرون حذو هذه الدول، فإن التأثير السوفييتي عالمياً سيتناقص إلى حد بعيد.

فهل يحدث هذا؟

فرنسا والمصاعب

ستمر دول أوروبا الغربية ببعض التحولات العميقة من حيث استقرار أنظمتها، لكنها لن تواجه تغيرات رئيسية.

سيكون على فرنسا أن تتوقع انحداراً محدوداً في السنوات القادمة. سينخفض إنتاجها الصناعي إلى حد ما. ومن الناحية السياسية، ستتمتع باستقرار للسنوات الأربع القادمة، حتى مع وجود حكومة إشتراكية تتولى أمورها للمرة الأولى ـ واعتمادها على بترول الخليج لا يساعدها كثيراً... وان كان مما يعادل هذا اهتمامها بالاعتماد على الطاقة النووية في توليد الكهرباء. وستصبح فرنسا. مثل المانيا، من أكبر مصدري مشروعات الطاقة النووية، مما سيعود عليها بقدر لا يستهان به من العملات الاجنبية.

إلا أن فرنسا ستتعرض لمشكلة اقتصادية رئيسية. ففي عام ١٩٨٨، سيحل موعد الوفاء بوعود جيسكار ديستان الشهيرة حول الغطاء الذهبي، مما يرجح تلقي الخزانة الفرنسية للطمة أكيدة. لقد وضع ديستان قيوداً على السوق، وقدم ذهباً حقيقياً كغطاء لها، في وقت كان يباع فيه الذهب بأقل من ٥٠٠ دولار للأوقية.

سياسات تاتشر

وبينما يتوقع الكتاب التعثر لفرنسا، يتنبأ بصعود بريطانيا العظمى.

فرغم أن بريطانيا تمر اليوم بظروف اقتصادية صعبة، إلا أن سياسات تاتشر توحي بأنها ستنجح، إذا ما توفر لها الوقت الكافي. ومن المتوقع أن

تنال ذلك الوقت، ربما بسبب الانشقاق المتزايد داخل حزب العمال المعارض، وإذا كان الإنجليز ما زالوا يتمتعون بمستوى معيشة مرتفع حتى الآن، فمرجع ذلك من ناحية إلى بترول وغاز بحر الشمال، ومن ناحية إلى وضعها المتفوق كإحدى العواصم المالية للعالم. وهي لا تواجه سوى مشاكل قليلة بالنسبة للأقليات، فيما عدا الصراع المزمن الذي تسببه ايرلندا الشمالية، والمشاكل المتصاعدة للهجرة إليها من أفريقيا وآسيا.

أما من ناحية الحركات الإنفصالية في ويلز واسكتلندا، فمن الواضح أنها خمدت، وستبقى على خمودها طوال العشرين سنة القادمة.

أكبر المتاعب تواجه إيطاليا وإسبانيا

الدولتان اللتان تواجهان أكبر المتاعب في أوروبا الغربية. هما بوضوح إيطاليا وإسبانيا...

تأتي إيطاليا في الترتيب التالية مباشرة لليابان من حيث اعتمادها على الإستيراد في طاقتها، كما أنها تعاني من عدم الاستقرار المزمن في أوضاعها السياسية، ومن نسبة تضخم مرتفعة، ومن الفوارق الضخمة في الدخول بين الأغنياء والفقراء، ومن موجة إرهاب حادة أركعت القضاء الايطالي.

والصناعة الايطالية تعاني من الشلل بسبب السياسة الايطالية. فقد تشكلت ٤١ حكومة إيطالية على مدى ٣٥ سنة مضت. والحكومة الايطالية تمنح العمال أجر شهر إضافياً في كل سنة، بالإضافة إلى منح

أخرى بمناسبة الكريسماس، ومزايا على شكل إجازات وضمان ضد الفصل حتى في أصعب الأوقات. مما يضع قيوداً مؤثرة على الصناعة الإيطالية. وما زالت إيطاليا دولة غير موحدة بمقياس عقول أبنائها، فقوائم الناخبين تتضمن أكبر حزب شيوعي وأكبر حزب ملكي بين دول أوروبا الغربية.

وينسحب ما قلناه بالنسبة لأوضاع إيطاليا على إسبانيا إلى حد بعيد. فالحركات الإرهابية في الباسك وكاتالينا قد تؤدي إلى انفصال الولايتين. وإسبانيا تعاني من نفس فقر إيطاليا بالنسبة للطاقة. لديها مناجمها للفحم، لكنه فحم من نوع رديء.

وإذا لم تنجح إسبانيا في دخول السوق الأوروبية المشتركة. وإذا ساءت الأوضاع الاقتصادية في أوروبا، بحيث يضطر جموع العمال الإسبانيين الذين يعملون في الدول الصناعية الأخرى إلى العودة إلى إسبانيا، فلا ريب أنها ستواجه متاعب كبيرة.

كندا . . . السهم المنطلق

وماذا عن كندا؟

يرى الكتاب أن كندا ستكون إحدى أكثر دولتين رخاء ونمواً في العالم خلال العشرين سنة القادمة (باعتبار أن الدولة الأخرى ستكون الولايات المتحدة الأمريكية).

وكندا، شأنها شأن أستراليا، لديها فائض من إمدادات الطاقة، وما يبدو

بلا نهاية من المواد الخام تحت أرضها. وستظل على حالها كواحدة من أكبر الدول المصدرة للمحاصيل الزراعية. مشكلة كندا الوحيدة هي السياسة.

الاحرار لهم قوتهم في المدن، والمحافظون تتركز قواهم في الأقاليم. نفس هذا الإنقسام تجد له الصدى القوي في عقول أبناء كندا، وثراء كندا يعتمد في معظمه على المحافظات الغربية، والتي قد تعمد يوماً ما خلال العشرين سنة القادمة إلى أن تستقل بنفسها. إذا فعلت المحافظات الغربية هذا، ستصبح أغنى دولة في العالم.

ستبقى الحركة الانفصالية في كويبك على هدوئها لسنوات قليلة قادمة، لكن إذا ما نشطت الحركات الإنفصالية في الغرب. فمن المتوقع أن تنشط تلك من جديد.

ويعاني الكنديون من أزمة هوية.. فهم لم يستقروا بعد على اتفاق حول: من هم؟ وماذا يريدون أن يكونوا؟ وإذا انقسمت كندا يوماً إلى ولايات مستقلة. فمن المتوقع أن تنضم الولايتان البحريتان الشرقيتان إلى الولايات المتحدة الأميركية.

الدول المنسية

وينهي الكتاب تنبؤاته لبعض دول العالم في العشرين سنة القادمة بالحديث عن أمريكا اللاتينية. والتي كانت على مدى زمن طويل مستودعاً للدول المنسية.

ويقول إن أقوى هذه الدول هي المكسيك بسبب بترولها وغازها، إلا أن هذه القوة قد أخذت تتناقص، نتيجة لتزايد السكان. الذي تخف حدته إلى حد ما بالتسلل غير الشرعي من جانب العمال المكسيكيين إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

وما زالت كولومبيا تحقق دخلاً لا بأس به من بيع حبوب البن. لكن استقرارها مهدد بسبب ارتباطها بالمخدرات، والتي أوشك عائد صادراتها أن يصل إلى صادرات البن.

وهناك لعنتان تلاحقان البرازيل والأرجنتين: التضخم وعدم الاستقرار السياسي. فمنذ سنوات قليلة واجهت البرازيل الاضرابات العنيفة للطلبة والعمال بتكوين ستة أحزاب رئيسية جديدة، الأمر الذي لا يمكن اعتباره مؤشراً للاستقرار.

لقد وصل التضخم إلى ١٠٠ في المائة في عامي ٨٠ و ١٩٨١. والأحياء الفقيرة القذرة حول المدن يتواصل تضخمها، حيث يتزايد انتقال عمال الزراعة إليها، بعد فشلهم في الحصول على عمل أو سكن أو القدر الضروري من الرعاية الصحية.

ونفس المشاكل تواجه الأرجنتين. وإن كان على نطاق أقل.

هل تنتهي بوليفيا؟

وتعتبر بوليفيا أفقر دول أمريكا اللاتينية. ونسبة محو الأمية فيها لن تزيد على ستين في المائة. ولديها عجز واضح في عدد الأطباء والممرضين،

ومع ذلك فسينخفض عددهم عن المعدل الحالي في السنوات القادمة. وما زالت الاسبانية هي اللغة الرسمية في بوليفيا. رغم أن الهنود هم الأغلبية. ويبدو مستقبل بوليفيا قاتماً، إلى حد التنبؤ بعدم بقائها كدولة مستقلة في عام ١٩٩٥.

وإذا قدر للدول التي مثل بوليفيا أن تبقى، فلا بد من تضافر جهود الدول الصناعية في العالم لدعم هذه الدولة بالمعونة الخارجية. فعلى كل دولة صناعية أن تقدم ثلاثة في المائة من مجموع إنتاجها القومي إلى صندوق خاص بالمساعدات الخارجية. . هذا إذا أريد لدول العالم الرابع ان تواصل وجودها.

حالياً، تقدم السويد تسعة من ألف في المائة من دخلها للمعونات الخارجية، وتقدم الدول الإسنكدنافية الأخرى أكثر من خمسة من ألف في المائة. أما الولايات المتحدة الأمريكية فلا تدفع أكثر من واحد من ألف في المائة من دخلها للمعونات الخارجية، ويقدم الإتحاد السوفييتي ما هو أقل من ذلك. من هذا نرى أنه لا بد أن يحدث تغيير في الأسلوب الذي تدعم به الدول الغنية ميزانيات الدول الفقيرة، حتى لا تتهاوى هده وتتحلل. فالاستقرار المطلوب لكل دول العالم يعتمد على هذا.

ترمومتر دول العالم

ويختم الكتاب تنبؤاته بتلخيص الموقف. محدداً الدول الاكثر استقراراً في نهاية السنوات العشر القادمة. ثم في نهاية العشرين سنة القادمة.

وهو يرتب الدول تنازلياً من حيث درجة استقرارها كالتالي: الولايات المتحدة الأمريكية، ألمانيا الاتحادية، أستراليا، كندا، اليابان، فرنسا، المملكة المتحدة.

وفي نهاية السنوات العشر القادمة، ستكون أكثر الدول استقراراً بالترتيب التنازلي التالي: الولايات المتحدة الأمريكية، أستراليا، كندا، المملكة المتحدة، الاتحاد السوفييتي، ألمانيا الموحدة.

وفي نهاية السنوات العشرين القادمة ستكون: الولايات المتحدة، أستراليا، كندا، المملكة المتحدة، ألمانيا الموحدة، فرنسا. . . أما الإتحاد السوفييتي فسيهبط إلى المرتبة السابعة، واليابان إلى المرتبة الثامنة.

ومن التغيرات اللافتة بالنسبة لباقي الدول، والتي تنطوي على تدهور سريع: تهبط بولندا من المركز ٩ إلى المركز ٤٢. إيطاليا من المركز ٨ إلى المركز ٢٠، ثم إلى المركز ٢٤ على المدى الأبعد. تهبط إسبانيا من المركز ١٥ إلى المركز ٢٥٢. وتهبط إسرائيل من المركز ١٤ إلى المركز ٢٣، ثم تصعد على المدى الأبعد إلى المركز ١٨، وفقاً لإختيارتها السياسية.

أهم ارتفاع في درجة استقرار الدول يتصل بالدول التالية: ريمبابوي من ٢٥ إلى ١٨، ثم إلى ١١ في المدى البعيد. حنوب أفريقيا من ٢٢ إلى ١١، نيجيريا من ٢١ إلى ١٢، ثم إلى ١٠ في المدى البعيد. ليبيا من ١٧ إلى ٨، ثم تهبط في المدى الأبعد إلى مركز ١٩.

الفصل الخامس

حرب . . أم سلام؟

عندما نصل الى عام ١٩٩٠ ، سيتجاوز تعداد العالم ٥,٣ بليون نسمة ، تكافح لعبور السنوات العشر التي تصل بها إلى القرن الحادي والعشرين.

ستمتلىء شوارع نيويورك وغيرها من العواصم الكبرى بالسيارات الكهربائية ، وستمتد أسلاك ملايين العقول الالكترونية إلى أماكن العمل والسكن. ستتكفل رقائق السيليكون بتشغيل المصانع والمصاعد وقطارات الانفاق ، وضبط درجة حرارة الأماكن العامة والخاصة ، وبالتحكم في أضواء إشارات المرور.

لن يعود البترول هو السيد. . أما العرب الذين ينتجون البترول في الشرق الأوسط فلن تصبح لهم قوة التأثير التي كانت لهم. ستصبح الكهرباء هي السيد ، الكهرباء المستمدة من الأفران النووية في كل مكان من العالم.

ومع كل هذه التغيرات التي سيشهدها العالم عندما نصل الى عام ١٩٩٠ ، فسيبقى العديد من الأشياء على حاله تقريباً. ستظل القوة باقية في نفس الأيدي الضخمة التي استقرت فيها طوال ٤٥ سنة مضت. . القوى العظمى ستظل هي نفس القوى العظمى. . سيظل الاتحاد السوفييتي

والولايات المتحدة الأمريكية يتحكمان في طرفي الواقع العالمي. ولن تظهر أية قوة جديدة تتحدي قيادتهما العسكرية للكتلتين الشرقية والغربية.

عندما نصل الى عام ١٩٩٠، لن تكون قد نشبت حروب كبرى، إلا أن الاتحاد السوفييتي الولايات المتحدة الأمريكية، سيبقيان يتربص كل منهما بالاخر، بعد التدهور الذي سيحدث في الوفاق العالمي، والذي سينتهي بالعزو السوفييتي لإيران واحتلالها.

لقد توقف نشاط حلف شمال الاطلنطي «ناتو» وحل محله حلف شمال الاطلنطي والباسفيك «نابتو»، وهو حلف يضم اليابان، ولا يتضمن ألمانيا الاتحادية. فقد خرجت ألمانيا الغربية من حلف شمال الاطلنطي عام ١٩٨٨، لكي تبدأ مفاوضات إعادة توحيد شطري ألمانيا. وقبل هذا بعام واحد، ستكون الدولة الكورية قد توحدت بعد ٤٢ سنة من التقسيم.

القاعدة السوفييتية في أندونيسيا

وعملية توحيد ألمانيا هذه، ستكون الثمن الذي يدفعه الاتحاد السوفييتي، حتى تخرج ألمانيا الغربية من حلف شمال الأطلنطي.

عندما ينتهي الاتحاد االسوفييتي من تحقيق هذا الهدف، سيولي اهتمامه للشرق، فيوثق روابطه بفيتنام، محاصراً النمر الصيني في الشمال. وفيتنام في ذلك الوقت ستكون قد احتلت جزءاً من أندونيسيا، وستكون قد حولت القاعدة الأندونيسية البحرية في «سورابايا» لخدمة الاتحاد السوفييتي. وهكذا يتحقق للسوفييت، آخر الأمر، حلم قاعدة في المياه الدافئة بالباسفيك.

ولكن أين هي الصين؟ . ستظل الصين طوال هذا تلعب دوراً سلبياً عجيباً، مختارة أن تبقى خارج الصراع ، ومستغلة ذلك الوقت في دعم قوتها داخلياً. وفي هذه الأثناء ، يتعرض باقي العالم للمتاعب والاضطرابات. فالتهديدات التي يخلقها صراع الغرب مع الشرق، ستنسحب على كل مكان في العالم.

لشرارة الذرية

ستحشد حركات التحرير لافريقيا السوداء في زامبيا وموزمبيق وزمبابوي قواتها على امتداد حدودها ، لتقوم بمناورة عسكرية ، تمهيداً لهجوم شامل ساحق على جنوب أفريقيا. وعبر جنوب الاطلنطي ، وتتنافس البرازيل والأرجنتين في سباق لتطوير أسلحتها النووية ، بعد رفضهما توقيع اتفاقية «تلالتيلكو» ، التي تحظر انتاج الاسلحة النووية في أمريكا اللاتينية.

تفجر باكستان سلاحاً ذرياً قوته ١٠ كيلو طن تحت الأرض، دافعة بذلك الهند الى تفجير قنبلة قوتها ٥٠ كيلو طن في الجو، فوق الصحراء لهندية الكبرى. ويتبع هذا أن تعلن ليبيا عن تجاربها لانتاج أسلحة نووية ، وتتلوها مصر، ثم اسرائيل ، ثم حكومة جنوب أفريقيا، مما سيبعث موجات من الخوف عبر القارة السوداء والشرق الأوسط. ثم تتجه أنظار لعالم إلى المملكة العربية السعودية ، حيث يعتبر التهديد بقيام ثورة، تهديداً لشريان البترول الذي يمتد إلى اليابان وأوروبا الغربية.

والغريب في الأمر، أن الولايات المتحدة الامريكية ستكون أقل

اهتماماً بالحرب الاهلية في المملكة العربية السعودية من اهتمامها بالصراع الداخلي في المكسيك، والتي تمد الولايات المتحدة، في ذلك الوقت بحوالي ٧٠ في المائة مما تستورده من بترول.

ويرجع الذنب فيما يحدث من صراع في المكسيك إلى فيدل كاسترو، الذي تقدم به العمر، والذي يمد القوات الثورية المكسيكية بالمال والسلاح والتدريب، لكي تحصل على نصيبها من الثروة البترولية المكسيكية، وتكفي شرارة صغيرة واحدة، لكي تشعل النار في هذه الصراعات. من بين هذه الشرارات، تلك التي ستلتمع في نهاية عام ١٩٩٠، عندما تطلب يوغوسلافيا الانضمام إلى حلف «نابتو»، المنظمة الدفاعية التي ستحل محل «ناتو». وهو تحرك يشعر الكثيرون ببوادره منذ الان.

غزو تركيا

عند وفاة تيتو عام ١٩٨٠، بدأت يوغوسلافيا في العودة ثانية إلى المعسكر الشيوعي، كشريك صغير في حلف وارسو، باعتبارها من دول عدم الانحياز. وقد ظل الاتحاد السوفييتي يشجع يوعوسلافيا المترددة لكي تصبح شريكاً كاملاً. من ناحية، لأن الروس يطمعون في موانىء المياه الدافئة التابعة ليوغوسلافيا على امتداد الادرياتيكي. ولأنهم يطمعون من ناحية أخرى في الحظائر المنيعة التي لا تتحطم والخاصة بالغواصات والمبنية في صخور شمال دوبروفنيك.

عندما يحل عام ١٩٨٨، ستتحول يوغوسلافيا مقتربة من دول

الكوميكون، مما يدفع الغرب الى رفع اسم يوغوسلافيا في صمت من قائمة الدول غير المنحازة.

سيحدث أمران يغيران هذا الوضع. سيحتل الاتحاد السوفييتي إيران، وسيظهر قائد جديدة للدولة اليوغوسلافية، قائد يتسم بنفس ما كان يتسم به تيتو، من قوة العقل واستقلال الارادة. فيلم شمل اليوغوسلافيين، ويقنعهم بأنه ليس بإمكانهم أن يثقوا بالروس بعد غزوهم لإيران. . وبخطوة مفاجئة للعالم بأكمله، يعلن القائد اليوغوسلافي الجديد انسحاب بلاده من حلف وارسو، وتحالفه مع حلف شمال الأطلنطي والباسيفيكي «نابتو».

سيفاجأ السوفييت بذلك، شأنهم شأن الآخرين. . وبأعصاب باردة، يقررون عدم استطاعتهم الحياة بعد ذلك في ظل الاحباط الناجم عن حرمانهم من موانىء المياه الدافئة في البحر الأبيض المتوسط.

في عيد الأضحى، من عام ١٩٩٠، يقوم الاتحاد السوفييتي بغزو تركيا. ينقض عليها من الشرق بست فرق للدبابات تحاصر الجيس الثالث التركي في أرزوروم، ثم يدفع السوفييت بجيشين كاملين من خلال رومانيا وبلغاريا، لتستولي على اسطمبول في طريقها إلى أنقرة التي ستستولي عليها في أقل من شهر.

وهكذا. . تصبح إحدى دول حلف النابتو تحت الاحتلال السوفييتي. . مما سيدفع حلفاء تركيا من دول حلف النابتو إلى البحث عن وسيلة للثأر والانتقام.

١٩٣ يقف العالم على حافة حرب شاملة لا يمكن

ام ١٩٩٠؟. . أي بعد خمس سنوات

. . ممكن جداً أن يحـدث كل ذلك. . فالحــرب،
سبب دائماً.

يناريو الذي قرأته الآن حول أوضاع العالم عام ١٩٩٠، ليس مجرد حبكة روائية صنعها خيال كاتب درامي. هذا السيناريو جرت دراسته بتوسع على يد كبار الضباط العسكريين وواضعي الخطط في مختلف لكليات العسكرية بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث يقومون بدراسة لاستجابات الواقعية لاحتمالات العدوان في أي مكان من العالم.

وفي الولايات المتحدة توجد أغرب مؤسسة خاصة على وجه الأرض، تدير كل يوم حروباً لا تنتهي، مستخدمة أحدث وأضخم العقول الالكترونية، حروباً تخيلية، لا تسعى فيها إلى كسب معركة، أو الانتصار في حرب، ولكن هدفها الأول والأخير، هو منع وقوع حرب مباغتة تدمر العالم. إنها تتصور أشرس المعارك وأكثر الأسلحة فتكاً، بحيث تكون غايتها الأخيرة هي بقاء الجنس البشري.

وقد أمكن في السنوات الأخيرة، تجهيز مراكز بحوث ضخمة يتصارع فيها الإنسان مع العقول الالكترونية، ومن بينها المؤسسة الخاصة التي

نتحدث عنها والتي يطلق عليها اسم «راند»، والتي كانت تعتبر حتى وقت قريب من الأسرار العسكرية، التي تتخذ كافة الاحتياطات لعدم تسرب أي معلومات عنها إلى العالم الخارجي.

وهذه المؤسسة تعمل على منع نشوب حرب مفاجئة، بالصدفة، عن طريق تصور كل ما يمكن أن يحدث مهما كان غريباً أو مستبعداً. وخبراء هذه المؤسسة لا يقفون عند حد تغذية العقول الالكترونية بكل المعلومات والحقائق المتاحة، لكنهم يغذونها بسلسلة كاملة من التصورات التي تمثل المجهول، أو الصدفة.

وحتى نفهم معنى التعامل مع الصدفة أو المجهول، نشير إلى أحد البرامج التي قامت المؤسسة بدراستها، والتي تبحث مشروع خطة هجوم تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية ضد أعدائها في الأرض باستخدام أطباق طائرة يجري تصنيعها فوق كوكب المريخ!.

مخازن أمريكية في المريخ

هذه عينة من المشاكل غير المتوقعة التي تهتم بدراستها مؤسسة «راند»، والتي تمثل الجانب الأكبر من العمل الذي تنشغل به أجهزة المؤسسة ومن بها من خبراء. يعكف علماء الرياضيات على رسم المنحنيات التي تصور التقديرات التخمينية لانتاج هذه الأطباق الطائرة، ويحسبون التكاليف، والقوى البشرية المطلوبة، والخبرات التكنيكية الضرورية.

' تم هناك الدراسات الخاصة بطرق نقل هذه الأطباق الى مخازنها فوق المريخ، عبر القنوات التي على سطح المريخ. والدراسات الخاصة بمشاكل تحركات وإيواء وإمداد القوات العسكرية التي ستعسكر فوق المريخ. تم دراسة خطوط طيران الأطباق الطائرة عبر المجال الجاذبي المتغير للأرض، والمجال الجاذبي للمريخ، ثم حركة المعامل الفضائية حول المريخ والأرض.

ولعل السر في كشف بعض جوانب نشاطات مؤسسة راند، يعود إلى سرعة التطور العلمي والتكنولوجي، الذي يجعل الكثير من مادة البحث والدراسة السابقة بلا جدوى.

ذاية عمل الطائرات دائمة التحليق

ومن أمثلة هذا، ما تسرب من تقارير ووثائق تصور حروباً تخيلية شنتها المؤسسة على أعداء أمريكا عام ١٩٥٦. الطريف في الأمر أن راند خسرت معظم هذه الحروب التخيلية، والسر في ذلك كان وجود القواعد الجوية الأمريكية قريباً جداً من القواعد الجوية السوفييتية. وكان الهدف من هذا الوضع هو الوصول إلى إنذار بأي هجوم، في وقت مبكر بقدر الإمكان.

لهذا كان على خبراء المؤسسة أن يعيدوا دراساتهم وتقديراتهم على ضوء تلك الهزائم، وأصبح همهم الأول هو أن تبقى قاذفات القنابل الأمريكية حصينة بقدر الإمكان، مع الحرص على الاحتفاظ بها قادرة على الحركة الفعالة في نفس الوقت..

ومن بين الحلول العملية التي طرحت، هو أن تبقى قاذفات القنابل محلقة في الفضاء، على أن تقوم طائرات خاصة بتزويدها بالوقود وهي محلقة. الأمر الذي تحقق بعد ذلك بالنسبة للطائرات التي تحمل القنابل الذرية الأمريكية والسوفييتية.

حرب الستين ساعة

ويجب ألا نتصور أن ما يبدو كالشطحات من جهد رجال هذه المؤسسة، يخلو من الجهد العلمي. فمن أطرف ما جاء في الوثائق التي كشفت عن جانب من نشاط المؤسسة، ما بذله رجالها من جهد مع العقل الالكتروني الضخم لدراسة ما يجري إذا اندلعت الحرب بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي لمدة ستين ساعة.

لقد عمل العقل الألكتروني لمدة ست ساعات كاملة، بشكل متصل، ليهضم المعلومات التي تم تزويده بها، ويحللها، ويصنفها، ويربط بين عناصرها المختلفة، ليعطي آخر الأمر تقديرات لتلك الحرب. الجوية المستعرة التي دارت بين الدولتين.

لقد تمت تغذية العقل الالكتروني بكل ما يتصل بالموضوع، من قريب ومن بعيد. وكذلك بجميع احتمالات الأوضاع التي تكون عليها قوة الطرفين عند بداية المعركة، وبحدود قوة السلاح الجوي للجانبين، وبكل الخدمات العسكرية المساعدة. وببيانات تفصيلية عن إنشاءات وأجهزة الدفاع الجوي لكل من الخصمين، كالرادار، وصواريخ أرض جو، وأساليب القتال الجوي من الارض.

وبالاضافة الى كل هذا، تم تزويد العقل الالكتروني بسلسلة معقدة من خطط الطوارىء التي قد لجأ إليها كل جانب أثناء المعركة. لقد اقتضى بحث هذه الحرب الجوية إعداد أكثر من ١٥٠ ألف بطاقة مخرمة من تلك البطاقات التي يزود بها العقل الالكتروني.

قواعد في أنحاء العالم

وفي عام ١٩٥٦، نجحت مؤسسة راند في كسب حرب تخيلية مع الاتحاد السوفييتي، بعد العديد من الهزائم، التي اقتضت تغيير الاستراتيجيات والتكتيكات.

تحقق ذلك النصر الخيالي بإنشاء عدد من القواعد الجوية الأمريكية في مواقع محددة من العالم، خارج أرض الولايات المتحدة الأمريكية. وقد جرى حساب قوة القواعد ومواقعها، بحيث لا يتمكن العدو، في أي وقت من الأوقات، آن يحتل سوى بعض هذه القواعد فقط.

كما اقتصت هذه المعركة نقل قاذفات القنابل الأمريكية بسرعة وبشكل دوري، من قاعدة إلى أخرى، فيقتصر نجاح السوفييت على تعطيل جزء بسيط من قاذفات القنابل التابعة للقواعد التي يتمكن العدو من الاستيلاء عليها.

هل ينخدع الروس

ومن بين الافكار التي درسها رجال مؤسسة راند، فكرة التغرير بالسوفييت وإيقاعهم في فخ منصوب، عن طريق الإيحاء إليهم بأن

القوات الجوية الاستراتيجية الأمريكية أقل تفوقاً من نظيرتها لديهم.

وهكذا، عندما تندلع نار الحرب، ينخدع الروس بهذه الحقائق المزيفة، فيركزون كل جهد قواتهم الجوية لضرب القواعد الأمريكية، داخل الأراضي الأمريكية، ولا يتيح لهم هذا أن يمتد نشاطهم إلى قذف المدن الحيوية الأمريكية.

ساعتها سيتمكن سلاح الجو الامريكي من تحطيم القوات الجوية السوفييتية المنشغلة بضرب هياكل الطائرات الوهمية.

وحتى نأخذ فكرة أدق عن دراسة احتمالات الصدفة، نستعرض ما اكتشفه رجال المؤسسة من قصور في هذه الخطة. لقد قالوا إن الروس ليسوا أكثر من بشر، يمكن أن يرتكبوا الأخطاء، شأنهم شأن غيرهم. من يدرينا أنهم عندما يتصدون لقذف القواعد الجوية الأمريكية، أن يخطئوا مواقعها. وبدلاً من أن يصيبوا الهياكل المزيفة الرابضة على الأرض، تنطلق قنابلهم فوق المدن الأمريكية الكبرى، فتنهار معاقل النظام الأمريكي، ولا يبقى أمام السوفييت سوى أن يواصلوا حربهم حتى يصلوا إلى النصر النهائي، دون خوف من رد فعل أمريكي، بعد أن شلت مؤسسات الدولة الأمريكية.

استيلاء روسيا على استراليا

كل المعاهد والكليات العسكرية في العالم الغربي، مثل سان هيرست، وويست بوينت، وسانت سير، تقوم بلعبة الحرب، التي تتضمن

غزواً كبيراً من جانب حلف وارسو، إما عبر أوروبا، أو اسكندنافيا. كذلك تقوم كل كلية عسكرية في آسيا وفي الولايات المتحدة الأمريكية بلعبة حرب خاصة بغزو كوريا الشمالية لكوريا الجنوبية.

ولعبة عزو روسيا لتركيا التي أشرنا إليها من قبل، هي واحدة من ألعاب الحرب التي جرت دراستها في تلك الكليات.

ومن الواضح أن غزو السوفييت لتركيا سيشكل تهديداً أكبر للسلام العالمي من أي شيء آخر حدث منذ أزمة الصواريخ الكوبية في أكتوبر ١٩٦٢. فتركيا ستكون عضواً في حزب النابتو، الذي يضم دولاً ستسعى للثأر.

ولكن دعنا الان نتأمل الاحتمالات التالية للصراع العالمي، والتي يمكن أن تتحقق بعد ١٠ أو ١٥ سنة:

● غزو السوفييت ليوغوسلافيا أو اليونان، أو لهما معاً، لنفس الأسباب التي تقود إلى عزو تركيا، والتي تنحصر في الحصول على نافذة على البحر الأبيض المتوسط.

● أو غزو السوفييت لاستراليا، بالاعتماد على قاعدتهم البحرية الجديدة «سورابايا»، والتي استولوا عليها من أندونيسيا، للقفز منها على استراليا.

الأفارقة يجتاحون جنوب أفريقيا

لا تسخر عندما تقرأ هذا . .

فإن تحرك السوفييت إلى استراليا، ونسفهم طرق مواصلاتها ومعامل تكرير البترول فيها سيحرم الدول الغربية من إمدادات الحديد والنحاس واليورانيوم الاسترالية، خلال السنوات العشر الأخيرة من هذا القرن.

وإذا أصبح من المستحيل على استراليا أن تنقل الحديد واليورانيوم من مناجمها إلى الموانيء، فلن يكون من المعقول أن تواصل استخراج هذه المواد من جوف الأرض.

والسوفييت لن يشكلوا التهديد الوحيد للسلام العالمي خلال السنوات العشر القادمة . فهناك احتمال حقيقي لتحرك شامل من أفريقيا السوداء ضد جنوب أفريقيا، التي ستجد نفسها مضطرة إلى الاعتماد على الأسلحة النووية في الدفاع عن نفسها.

ماذا سيكون رد فعل الولايات المتحدة الامريكية؟.

هل ستقف إلى جانب دول أفريقيا السوداء ضد الأسلحة النووية للدولة العنصرية؟.

أم هل ستقف إلى جانب جنوب أفريقيا لتحمي مستودعات المعادن الحيوية التي ستكون في أشد الحاجة إليها .

كاسترو: المكسيك أم جامايكا؟

وفيدل كاسترو قد لا يكون راغباً في شيء، وهو في أواخر أيامه، أكثر من الجزيرة المجاورة له جامايكا. لقد أظهرت جامايكا تحولاً إلى ما يقربها من النظام الشيوعي الكوبي قبل عام ١٩٨٠، ثم جاءت الانتخابات بعد ذلك لتظهر تحولاً إلى الاتجاه المضاد.

وإذا قرر كاسترو خلق المتاعب في المكسيك.. أي طريقة ستكون أفضل من تخريب حقول البترول في خليج كامبيتشي، أضخم مصدر لإيرادات المكسيك، وشريان البترول الحيوي الذي يصب في الولايات المتحدة الأمريكية؟.

كيف ستتصرف الولايات المتحدة ازاء أي من الحركتين الكوبيتين؟.

بعد ثمانية أعوام من تولي الحكومة الأمريكية الجمهورية المحافظة، حدير بأن يحدث تدهور في العلاقات بين أمريكا وكوبا. الأمر الذي يعني أن الولايات المتحدة لن تقف ساكتة ازاء المتاعب التي يثيرها كاسترو في نصف الكرة الأرضية الجنوبي.

هل تتحمل الولايات المتحدة الأمريكية عزو كوبا لجامايكا؟. لا نظن. لقد أرسل جونسون ١٤ ألفاً من القوات الأمريكية إلى جمهورية الدومينيكان في ابريل ١٩٦٥، لإخماد ثورة أهلية، تحت شعار حماية أرواح وممتلكات الأمريكيين. فكيف ستتصرف الولايات المتحدة الأمريكية اراء هجمات الفدائيين التي تدعمها كوبا على حقول البترول في خليج كامبيتشي؟. علماً بأنه في عام ١٩٩٠ ستمد حقول بترول خليج

كامبيتشي الولايات المتحدة بما يزيد على ٧٠ في المائة مما تستورده من بترول.

من هذا يمكننا أن نخمن ما قد تفعله الولايات المتحدة الأمريكية كرد فعل لمحاولات الفدائيين قطع هذا الشريان الحيوي بالنسبة لها..

الفصل السادس

المارد النووي
يخرج من القمقم

في اطار احتمالات الحرب بين دول العالم خلال السنوات العشر القادمة، والتي أشرنا إليها فيما سبق، دعنا نبدأ بالتحرك العسكري الذي قد يتصور الكثيرون انه أقل التحركات احتمالاً، وهو الغزو السوفييتي لاستراليا.

قد يتساءل البعض باندهاش: ولماذا استراليا؟!.. حتى اليابانيين لم يضعوا أقدامهم على الأرض الاسترالية في أوج نجاحهم بعد بداية الحرب العالمية الثانية. فلماذا يغزو السوفييت استراليا؟.. إنها دولة في ضخامة الولايات المتحدة الأمريكية مع ان تعدادها لا يتجاوز تعداد سكان ولاية كاليفورنيا.

ما الذي تستهدفه روسيا من الغزو؟.. وما الذي يدفعهم أصلاً الى التفكير في غزو استراليا؟..

المطلوب أن تفكر بعقل السنوات العشر القادمة..

حيث لم تعد امدادات جامايكا من البوكسيت متاحة للولايات المتحدة الأمريكية، لعدم استقرار الأوضاع في جامايكا، والتدخلات الكوبية فيها. كما أن صادرات افريقيا من اليورانيوم لن تمضي كما كانت من قبل، لأن

السياسات الافريقية ستصبح ضد تصدير اليورانيوم.

عندما نصل إلى عام ١٩٩٠، ستحصل الولايات المتحدة على معظم ما تستورده من بوكسيت ويورانيوم من استراليا. . بالاضافة إلى أن الدماء ستدب ثانية في جسد الكومنولث البريطاني، بعد عودة الهند وباكستان إليه. وستقوم استراليا بامداد الدولتين بمعظم ما تحتاجان إليه من طعام. ولهذا، فإن الاتحاد السوفييتي لن يجد ما هو أكثر تأثيراً إذا ما أراد توجيه صرنة لمصالح العالم الغربي أفصل من غزوه لاستراليا، لكي يقطع امدادات اليورانيوم والبوكسيت عن الولايات المتحدة الامريكية، وفي الوقت نفسه يوقف امدادات القمح واللحوم الاسترالية إلى الهند وباكستان.

هجوم الكريسماس

والآن لنركيف سيمضي السيناريو الذي رسمه سيترون وأوتول في كتابهما «لقاء مع المستقبل».

في ذلك الوقت لن تكون استراليا عضواً في حلف شمال الاطلنطي والباسفيكي (نابتو). وهي تستقر هناك عند أسفل جنوب الباسفيكي، ضخمة، يصعب الدفاع عنها، وحيدة إلا من نيوزيلاندا الصغيرة. شواطئها الفسيحة التي لا تنتهي، تجعلها معرضة بسهولة لهبوط القوات الغازية. والحلفاء الذين تعتمد عليهم يبعدون عنها الاف الكيلو مترات. وفي نفس الوقت، تكون قدرة استراليا العسكرية مثيرة للضحك. فجيشها العامل يتكون من ٣٢ ألف رجل، و٩٠ دبابة، وسلاحها الجوي يتكون من

١٥٠ طائرة تكتيكية. ولا يضم سلاحها البحري سوى حاملة طائرات وحيدة.

في يوم الكريسماس، يهجم السوفييت على أستراليا بست فرق قادمة من فيتنام وايران وقاعدة البحرية الاندونيسية. وسيكونون قد لغموا مينائي ملبورن وسيدني لافقاد البحرية الاسترالية المحدودة التأثير أي فعالية. وهم يسقطون فرقتين بالمظلات خارج ملبورن وسيدني، لمنع القوات الاسترالية من الحركة.

أما الفرق الست الأخرى المحمولة بحراً فستدخل البلاد من المناطق الشمالية، ثم تسرع بالاستيلاء على مناجم اليورانيوم وحقول الفحم والحديد. وفي نفس الوقت، ستقوم الطائرات السوفييتية برش مادة خاصة فوق حقول القمح الاسترالية، لتخرب المحصول..

بعد ذلك سيعمد السوفييت إلى قصف نقط الاتصال بالسكك الحديدية، ومناطق تكرير البترول، مما يؤدي إلى شلل شامل في البلاد. فأستراليا نتجية لاتساعها الكبير، لا يمكن أن تستغني عن السكك الحديدية في نقل بضائعها.

ردود الفعل البطيء

في ذلك الهجوم، سيسحب السوفييت قواتهم من أستراليا في ظرف ثلاثة أسابيع، بعد أن يكون قد اكتمل التخريب، ونجح هدف حرمان الولايات المتحدة الأمريكية من امدادات اليورانيوم، وبعد أن يكونوا قد

وجهوا لطمة إلى الكومنولث البريطاني، عندما يحرمـون دولتين رئيسيتين من دوله، امدادات الطعام التي تحتاجان إليها.

ويبدو ان الولايات المتحدة الأمريكية سيطول بها الوقت، قبل أن ترد على غزو الاتحاد السوفييتي لاستراليا. ففي الوقت الـذي يسبق اتخاذ القرار، سيناقش البيت الأبيض استخدام قنبلة النيوترون ضد قوات الغزو السوفييتية. وعندما يتم الاتفاق على توجيه الانـذار بذلك إلى الاتحاد السوفييتي تكون قواته قد انسحبت.

ونفس المفاجأة ستقع على كندا وبريطانيا ونيوزيلندا، العمود الفقري العسكري للكومنولث. . وسيكون تصـرف هذه الـدول بنفس الطريقة البطيئة.

وعندمـا نصـل إلـى عام ١٩٩٠، سيكون التهـديد بقيام حرب نووية محدودة، قد قوى بشكل مطرد.

لقد خرج المارد الذري من قمقمه، ومد ظلـه علـى أنحـاء العالـم. فتجارب الاسلحة الذرية قد تمت في أكثر من ١٢ دولة. وهناك أكثر من خمس دول أخرى أوشكت على التوصل إلى أسلحتها الذرية. سيسمع العالم أصداء تجريب هذه الأسلحـة في دول مثل مصر وليبيا والعـراق واسرائيل، ومن الجانب الآخر في دول مثل الهند والباكستان. . ستصبح لتايوان قنبلتها الذرية، ونفس الأمر بالنسبة لكوريا الموحدة.

أما الحكومة العنصرية في جنوب افريقيا، فلديها ترسانتها الصغيرة من الأسلحة النـووية التـكنيكية، بمـا في ذلك قنبلـة النيوتـرون المخيفـة،

وسيتركز الهدف المطروح عالمياً على منع هذه الدول من استخدام السلاح النووي ضد جاراتها. . وليس منعها من انتاجه.

قنبلة الأرجنتين

أول تفجير نووي سيشهده العالم منذ انفجار ناجازاكي، ستقوم به الأرجنتين.

ان الأرجنتين غاضبة، لأن جارتها الضخمة البرازيل أنشأت ثلاث سدود عملاقة على امتداد المنطقة المتنازع عليها، ريو دي لابلاتا، وهي المنطقة التي كانت البرازيل قد حصلت عليها من الأرجنتين في اتفاقية سابقة.

ستلقي الأرجنتين قنبلة قوة ٢٠ كيلو طن فوق منطقة زراعية بالبرازيل. لقد تم اختيار الهدف بعناية شديدة، في منطقة قليلة الكثافة السكانية، بحيث تنحصر الخسائر البشرية في أضيق نطاق. . ويحترق كل شيء، ولا يبقى من شيء سوى الأرض المعطوبة الجرداء.

لكن هذا الانفجار سيكشف عن أمرين: أولهما تعبير الأرجنتين عن سخطها الكبير على البرازيل، وثانيهما امتلاك الأرجنتين للقنبلة الذرية قبل البرازيل. فإذا لم تتوقف البرازيل عن عملية اقامة السدود، يمكن أن تسقط قنبلة ثانية فوق ريو دي جانيرو.

ويواصل الكتاب هذا السيناريو المستقبلي المخيف، فيقول إن الأرجنتين ستلحق ضربتها النووية بضربات عسكرية تقليدية لمناطق

ايتايبو وسيتي كويداس وريو دي لابلاتا، لكن البرازيل ستسرع بتحريك قواتها إلى الحدود لتحمي مشاريع الطاقة الهيدروليكية.

وسيكون لهذه الحرب وجهها الكوميدي، فرغم أن جيش البرازيل وسلاحها الجوي، في ذلك الوقت، سيكونان أكبر من ضعف ما لدى الأرجنتين، إلا أن البرازيل هي التي ستكون في موقف الدفاع. ثم يتبدل الوضع، كما لو كانت البرازيل قد تبينت فجأة تناقض الوضع، فتحرك قواتها عبر ريو دي لابلاتا إلى الأرجنتين.

التدخل الأمريكي

وبينما تحبس دول أمريكا اللاتينية أنفاسها ترقباً، تقرر الولايات المتحدة الأمريكية أن تتحرك بنفسها. إلا أنها تتدخل، مستفيدة من تجربة الغزو السوفييتي لاستراليا، ستعلن أنها تتدخل بتفويض من منظمة الدول الامريكية (أواس)، لمنع مواجهة نووية بين الدولتين العظميين.

وهكذا تندفع قوات الانتشار السريع. مستخدمة سلاحاً أمريكياً رئيسياً جديداً وهو المركبات الفضائية الأخف من الهواء، والتي تحمل الف مقاتل في المرة المواحدة، وتهبط على امتداد وادي النهر، دافعة بالقوات الأرجنتينية عبر النهر، باعتبارها القوات البادئة بالعدوان. وتقوم القوات الأمريكية بضخ غازات غير سامة في الخط الفاصل بين الجيشين المتحاربين، لتجميد حركة الجنود في الجانبين. وفي نفس الوقت يتم انزال فرقة محمولة جواً، لكي تحاصر الموقع الذي يشك في أن الأرجنتين تحتفظ فيه بسلاحها النووي.

وبهذا يفاجأ العالم بنجاح الولايات المتحدة الأمريكية في ايقاف المحاولة الارجنتينية، قبل أن تبدأ أية مناقشات في الأمم المتحدة.

ويبقى سؤال هام: لماذا بدأت الأرجنتين هذه الحرب؟ وما هي الدوافع الحقيقية؟.

لقد شعرت الأرجنتين بمرارة متزايدة نحو جارتها البرازيل، خاصة بعد أن استبعدت البرازيل جارتها الأرجنتين من المشروعات المشتركة، وخاصة المشروع الهيدرو كهربائي على امتداد ريو دي لابلاتا. كما أن الدولتين الغنيتين بالبترول فنزويلا والمكسيك، لم تقدما يد العون إلى الأرجنتين، ووقفتا في جبهة واحدة مع البرازيل.

انتهت الحرب الأرجنتينية البرازيلية.

وبانتهاء حالة التهديد بالحرب، تبدأ الدول الكبرى في أمريكا اللاتينية حواراً فيما بينها، لتصحيح المواقف التي كادت تتسبب في كارثة عامة.

افريقيا السوداء تتحرك

وعبر جنوب الاطلنطي، تبدأ ارهاصات مواجهة نووية أخرى..

لقد بدأت دول افريقيا السوداء المتحررة في حشد قواتها على امتداد ٣ الاف ميل من الحدود المشتركة بين جنوب افريقيا من ناحية، وبين زامبيا وزيمبابوي وبتسوانا.

بناء على التقارير التي تجمعت لدى أجهزة المخابرات الغربية، لا يمكن اعتبار هذه الحشود مجرد مناورات حرب أو تحركات فدائية. إنه

هجوم شامل لن يتوقف حتى تسقط بريتوريا في يد الافارقة السود.

ماذا ستكون استجابة حكومة جنوب افريقيا؟

ستهدد دول افريقيا السوداء بأنها ستدافع عن نفسها بالأسلحة النووية. مشيرة بذلك إلى أن قوات دفاعها تمتلك أسلحة نيوترونية. ويرى بعض المراقبين الاوروبيين أن حكومة جنوب افريقيا قد أوشكت أن تصل إلى صنع قنبلة النيوترون.. إذا لم تكن قد صنعتها فعلاً.

ستحاول وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أن تحذر السود من العواقب المخيفة التي يمكن أن تجلبها القنبلة النيوترونية. إلا ان الافارقة لن يستجيبوا للتحذير، وسيكون رد فعلهم هو تحريك قواتهم عبر حدود أربع دول إلى قلب جنوب افريقيا.

سيأتي تحرك افريقيا السوداء في وقت تواجه فيه حكومة جنوب افريقيا موقفاً صعباً.. فهي لن تجد دولة افريقية قادرة على الحركة كوسيط بين الأطراف، لقد كانت نيجيريا قادرة يوماً ما على التوفيق بين الأطراف المتصارعة، لكنها في ذلك الوقت لن تستطيع أن تلعب هذا الدور. فهي ستكون قد فقدت تحكمها السياسي على شعب يتزايد تعداده، كما انها لن تكون غنية بالبترول كما هي اليوم.. ومن ثم لن تصبح نيجيريا قوة مؤثرة في السياسات الافريقية.

ستحاول بريطانيا، التي لن تستطيع التدخل بمفردها، أن تقنع الولايات المتحدة الأمريكية بالانضمام اليها في عمل مشترك.. لايقاف المذبحة.. لكن أمريكا ستقف حائرة ازاء هذا الموقف، لا تستطيع أن

تقف مع حكومة جنوب افريقيا عسكرياً، ونصف تعداد الجيش الأمريكي من الزنوج.

غازات تشل حركة الجنود

ماذا بقي؟.. الصين، قد تتدخل.. السوفييت، سيتدخلون قطعاً.. ومن المحتمل أن تواجه حكومة جنوب افريقيا هجوماً نووياً من ليبيا والعراق.. إذا حدث هذا، فمن المتوقع أن تقف اسرائيل في صف حكومة جنوب افريقيا، ضد المهاجمين.

إذا وصل الأمر إلى هذا الحد لن تجد الولايات المتحدة الأمريكية مناصاً من التورط ـ على الفور ـ ستشكل عشر فرق من الامريكان البيض، وتستخدم امكانيات الانتشار السريع في نقل قواتها إلى جنوب افريقيا، قبل أن تبدأ المذبحة.

ستقوم هذه القوات بإسقاط مواد مشعة عند المنطقة الفاصلة بين القوات المتحاربة بعرض ٥٠ كيلو متراً، وستستخدم نوعاً من الغاز غير السام، والذي ستكون قد جربته قبل هذا بسنتين في الأرجنتين، حتى تشل حركة القوات السوداء المهاجمة.. وفي نفس الوقت ستسعى أمريكا بالاشتراك مع بريطانيا إلى الزام حكومة جنوب افريقيا بالتخلي عن سياستها التي تقوم على التفرقة العنصرية. الأمر الذي ستستجيب له حكومة جنوب افريقيا بعد مفاوضات طويلة.

. . والسعودية

بعد سنتين من نهاية القلاقل والمتاعب في جنوب افريقيا، ستظهر اضطرابات في بقعة أخرى على الكرة الأرضية. . في السعودية. . التي ستبقى أكبر دولة مصدرة للبترول في العالم. . والتي يعيش فيها أكثر من مليون ونصف عامل يمني وفلسطيني.

وفي دولة يبلغ تعدادها أربعة ملايين تعتبر هذه نسبة عالية من العمالة الأجنبية. . والهوة الاقتصادية بين العمال المهاجرين والمواطنين السعوديين واسعة جداً ومازالت هذه الهوة تتسع عاماً بعد عام منذ سنة ١٩٨٠ . وعائدات البترول قد تقلصت، نتيجة لما تعلمه العالم من العيش ببترول أقل، ومع قرب التوصل إلى الحصول على الطاقة من الاندماج النووي النظيف. وفي السعودية توجد بطالة، ونوع متزايد من الاحتكاك بين العمالة المهاجرة، وأهل البلاد من السعوديين.

وإذا ما حدث أي عدوان على السعودية، فإنها ستستنجد بالولايات المتحدة الأمريكية. . التي ستتحرك بتشجيع من اليابان وأوروبا الغربية والدول التي يهدد هذا العدوان بانقطاع شريان البترول السعودي عنها.

سيندفع ٢٠ الف باكستاني يقومون بحماية الرياض، مع ٥٠ الفاً من الجنود السعوديين، سيندفعون جميعاً إلى الصحراء لمواجهة العدوان. . وستكون استجابة الولايات المتحدة الأمريكية فورية، بالانتقال من قاعدة انتشار سريع قريبة، إلى صحراء النقب. وسيكون مجموع قوات الانتشار السريع الامريكية أربع فرق، يتم نقلها جواً وبحراً.

الهدف الأول لهذه القوات سيكون حقول البترول، بهدف حمايتها من أي تخريب. ثم تأتي الخطوة التالية، بتوزيع القوات والدبابات على امتداد خطوط ضخ البترول لضمان عدم توقف الامدادات. وفي نفس الوقت تقوم المقاتلات الجوية بالتحليق فوق الصحراء، لتحقق غطاء جوياً للجيش السعودي، الذي يحارب من أجل ايقاف حركة التمرد، بالاضافة إلى فرقتين اضافيتين ستحاربان إلى جانب القوات السعودية التي تحارب في الصحراء. ستتواصل المعركة على امتداد أسبوع واحد، وستتغلب الدبابات والطائرات.

أما استجابة الاتحاد السوفييتي فستكون التهديد بالتحرك الى مضيق هرمز، لكنه لن ينفذ تهديده بعد أن ترسل اليابان وأوربا الغربية قواتهما لحفظ السلام في السعودية.

وإذا كان خطر الحرب قد أمكن تجنبه. إلا أن القوات الأمريكية واليابانية والأوربية ستكون قد أقامت في السعودية.. ولعدة سنوات.

جامايكا تستنجد بكوبا

وإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد شعرت أنها ملتزمة بالتدخل في الحرب الأهلية الجارية في السعودية، فلك أن تتصور مدى التزامها بالتدخل في الحرب التي ستنشب على بعد أقل من ألف كيلو متر من شواطئها، وعندما تغزو كوبا جزيرة جامايكا، فيما قبل عام ١٩٩٠..

كيف يمكن أن تصل الأمور إلى هذا؟

يحدث هذا عندما تتسلم مقاليد جامايكا حكومة قمعية، فيسود المدنيين بها شعور بالقلق، يتحول يوماً بعد يوم إلى تمرد، فتضطر حكومة جامايكا إلى الاستنجاد بالقوات الكوبية لاخماد التمرد. تستجيب كوبا للدعوة. . فيهبط جنودها على شواطىء جامايكا، ويخمدون ذلك التمرد بأسلوب عنيف.

أول ما ستفعله كوبا هو تأميم مناجم البوكسيت ومستودعاته في جامايكا، وقطع امداداته عن الولايات المتحدة الأمريكية. تشعر أمريكا بما في هذه الحركة من تهديد صريح لمصالحها، يحرمها من ثلث احتياجاتها في صناعة الالومنيوم.

لكن ماذا يمكنّ للولايات المتحدة أن تفعل في هذا الصدد؟ لقد استعانت حكومة جامايكا الشرعية بجارتها كوبا في مواجهة المتمردين، فكيف تبرر الولايات المتحدة هجومها العسكري؟

تبدأ الولايات المتحدة بحصار بحري وجوي شامل حول كوبا وجامايكا، فلا تسمح إلا بمرور الامدادات الغذائية الضرورية. وفي نفس الوقت تحول الدوريات البحرية والغواصات الأمريكية دون خروج سفن شحن البوكسيت من جامايكا، والسكر من كوبا، مستندة في هذا الاجراء إلى مبدأ مونرو.

كذلك، تعترف الولايات المتحدة بحكومة في المنفى، تضغط على منظمة الدول الأمريكية حتى تقوم بنفس الخطوة. وتنجح الولايات المتحدة في آخر الأمر في الحصول على ادانة من فنزويلا والمكسيك

للغزو الكوبي لجامايكا، بعد أن تحذر فنزويلا والمكسيك من أن نجاح كوبا في دخول جامايكا قد يشجعها على أن تتحول إليهما.

ينجح الضغط ويخرج الكوبيون من جامايكا، في الوقت الذي يتم فيه انقلاب سلمي في عاصمة جامايكا، كنسجتون، يطيح بالحكومة الموالية لكوبا.

بترول المكسيك

نفس هذا السيناريو يمكن أن يحدث في وقت ما خلال تسعينات هذا القرن في حقول البترول المكسيكية. ففي ذلك الوقت، ستعتمد الولايات المتحدة الأمريكية في ٧٠ في المائة من بترولها المستورد على ما يصلها من أغنى حقول الانتاج البترولي في نصف الكرة الأرضية الجنوبي، وبالتحديد من حقول خليج كامبيتشي المكسيكية:

هذا الوضع سيشجع قيام منظمة ارهابية مكسيكية، تعتمد في تدريبها وتمويلها وتسليحها على فيديل كاسترو، الذي سيكون قد بلغ الخامسة والستين من عمره في ذلك الوقت. خاصة وأن الأحداث السياسية في المكسيك حينئذ ستشجع كاسترو على اثارة المتاعب فيها. كما أن الحزب الحاكم في المكسيك سيزداد اعتماده على الجيش للاحتفاظ بالسلطة. وبينما سيوفر تصدير البترول قدراً كبيراً من العملات الصعبة، فإن ذلك لن ينعكس على حياة الفقراء في الحضر أو الريف. وهكذا يتزايد التأييد الشعبي للحركات الثورية، على حساب ما تحظى به الحكومة من تأييد، ويصبح الوضع مواتياً لخلق الاضطرابات.

ستأتي هذة الاضطرابات من خارج الكاريبي، عندما يتنكر الارهابيون المكسيكيون ومدربوهم من الكوبيين على هيئة صيادي سمك، وهم يغادرون كوبا، ويتسللون ذات صباح مبكراً الى خليج كامبيتشي. وفي هدوء وتخطيط محكمين. يتم اقتياد عمال حقول البترول إلى القوارب الكوبية. ثم يقوم الارهابيون بوضع القنابل الموقوتة عند أصول ابار البترول، وفي ظرف عدة ساعات تفقد أمريكا البترول الذي كان يصلها من أغنى أبار البترول في المنطقة.

كيف ستستجيب أمريكا لهذا التخريب الكوبي؟.. في هده الحالة لم يطلب مسئول واحد في الحكومة المكسيكية من كوبا أن تقوم بهذا النشاط الارهابي، ومن ثم لا يكون لدى الولايات المتحدة ما يجعلها تتردد ي التحرك لضرب الارهابيين.. خاصة وأن الحكومة المكسيكية لن نحظى في ذلك الوقت بالمساندة الشعبية الضرورية لاتخاذ الاجراءات المصادة.

هكذا تقرر الولايات المتحدة الأمريكية أن تتدخل بسرعة، ضاربة قواعد الارهابيين في كوبا، وفارضة في نفس الوقت حصاراً على كوبا. بينما يتحرك الفدائيون المكسيكيون إلى الأراضي الكوبية في عملية خاطفة يحرقون فيها حقول قصب السكر.

ولكن، هل يمكن لألسنة النار المندلعة في حقول قصب السكر الكوبية أن تتحول إلى لهيب يطال أمريكا الجنوبية كلها؟

المانيا دولة غير منحازة

ما استعرضناه حتى الآن عبارة عن سيناريوهات للصراعات المحتملة، التي يمكن أن تواجهنا خلال السنوات الباقية في هذا القرن. وهذا لا يعني حتمية حدوثها، أو أنه من غير المحتمل نشوء غيرها من الصراعات في العالم. لكن أكبر المواجهات تفجراً، ستظل في أوروبا.. حيث يواجه الاتحاد السوفييتي دول أوروبا الغربية. ولعل توحد الدولتين الالمانيتين أن يخمد نيران هذه المواجهة.

بهذا التوحد الالماني لن يكون للسوفييت طريق مباشر عبر بولندا وألمانيا الشرقية الى الغرب. كذلك سيتبدد قلق السوفييت بعد أن زال خطر إقامة الصواريخ النووية في ألمانيا، واعتبارها منطقة منزوعة السلاح النووي... ولن يوافق الاتحاد السوفييتي على التوحيد إلا بناء على هذا الشرط..

والسؤال الذي يطرح في هذا المجال: هل ستبدو الدولة الالمانية الجديدة صورة أخرى من السويد وفنلندا؟.

السويد دولة محايدة لكنها أكثر قبولاً لدى الغرب، وفنلندا دولة محايدة، لكنها أكثر قبولاً لدى السوفييت.. أما المانيا الموحدة فستصبح عضواً في دول عدم الانحياز، منضمة إلى دول العالم الثالث.. وسيكون انضمام المانيا بمثابة دفعة قوية لدول عدم الانحياز، مما سيتيح لهذه الدول دوراً أكبر في حفظ توازنات السلام العالمي.

قنبلة النيوترون

ماذا يبقى بعد ذلك بالنسبة لمستقبل السلام العالمي؟

الاحتمالات طيبة أحياناً وسيئة أحياناً أخرى. سيكون الاتجاه العام نحو المزيد من جهود نزع السلاح النووي. إلا ان الأسلحة الجديدة التي ستطلع علينا خلال السنوات العشرين القادمة، ستجعل محبي السلام يترحمون على أيام الصواريخ النووية.

قنبلة النيوترون المفنية ذات الأثر الاشعاعي الأقوى ستكون عاملاً مشتركاً في ترسانات الأسلحة. وستنجح كل من الولايات المتحدة لأمريكية، والاتحاد السوفييتي في اختبارات وتجارب أسلحة الليزر، وأسلحة الشعاع النابض، لكي تستخدم إما في الفضاء، أو كسلاح مضاد للصواريخ، أو في الدفاع ضد الطائرات.

ستقوم القوتان العظميان باختبار الأسلحة الكيميائية والبيولوجية غير السامة، والتي يمكن أن تجمد حركة آلاف الجنود في وقت واحد، أو تصيبهم بما يشبه الشلل الكامل.. وسيستمر الاتحاد السوفييتي في تطوير سلاحه الرادع، والذي يتكون من رؤوس نووية ضخمة، يمكن أن تستخدم ضد عدد محدود من أهم وأكبر المدن، بينما تواصل الولايات المتحدة الأمريكية خطتها في تطوير استخدام الرؤوس النووية الأصغر ضد المدن السوفييتية العديدة التي تسعى للوصول إليها.

* * *

هذه هي فكرة عامة عن السيناريوهات التي يضعها علماء المستقبل في الغرب لأوضاع العالم عندما نصل إلى مطلع القرن القادم.. فماذا يقول علماء المستقبل في الاتحاد السوفييتي؟

الفصل السابع

المستقبل... في عيون الاشتراكيين

رأينا فيما سبق نماذج من السيناريوهات التي وضعها علماء التنؤ بالمستقبل في الغرب، وبصفة خاصة في الولايات المتحدة الامريكية، بالنسبة لمدى استقرار الاوضاع في دول العالم، وكذلك احتمالات الحروب الصغيرة والكبيرة بين هذه الدول.

وكما قلنا من قبل إذا أردنا أن نرسم صورة اكثر دقة لمستقبل العالم عند مطلع القرن القادم، لا يجب أن نقتصر في هذا على رؤية علماء الغرب أو علماء الشرق. فرغم كل الموضوعية، ورغم كل أسس القياس المحددة، ورغم العقول الالكترونية، فإن الاستخلاصات التي يخرج بها أحد علماء المستقبل، في مثل هذا المجال، لا بد أن تتأثر - شعورياً أو لا شعورياً - بالايديولوجية التي يعتنقها، والسائدة في مجتمعه، وبمنظوره الخاص للمجتمع.

عن هذا يتحدث دكتور ايفان فرولوف عضو اكاديمية العلوم السوفييتية، واستاذ الفلسفة، وصاحب المؤلفات الفلسفية والمستقبلية العديدة، والذي ترجمت أعماله إلى العديد من اللغات الحية. في كتابه الاخير «المشاكل العالمية ومستقبل الجنس البشري»، يبدأ فرولوف بالحديث عن صورة العالم وهو على مشارف القرن الحادي والعشرين فيقول:

«لا يمكن للواحد أن يتصور انساناً لا يتأمل المستقبل، ويربط اماله بذلك المستقبل. واليوم، بعد امد طويل من تأزم المشاكل البشرية في جميع انحاء العالم، نشأ اهتمام شامل بالمستقبل في جميع القارات. ما هو شكل العالم عند مطلع القرن الحادي والعشرين؟ هذا السؤال يواجه كلا من الانجليز والروس والامريكيين والصينيين، الألمان والفرنسيين.. ونفس السؤال يتردد في الهند والمكسيك، في اليابان والبرتغال، وفي كل مكان يعيش فيه الانسان على سطح كوكبنا. ليس هذا لان الحدود بين قرن وآخر تشكل فاصلاً مادياً، أو حداً مؤثراً في التاريخ البشري، بل لأنها تكون اشبه بالمنبه السيكلوجي، الذي يضاعف من رغبة الانسان في التطلع إلى ا يحمله إليه القرن القادم، مما يشجع على القيام بالدراسات المستقبلية ، مختلف المجالات».

«الانسانية تحلم دائماً بمستقبل افضل. والانسان دائم التأمل لاحتمالات المستقبل، للبحث عن مخارج جذرية للمشاكل المتفاقمة التي تواجهه حالياً ومستقبلاً. مشاكل اجتماعية لا يجد لها حلاً، وتناقضات سياسية، وتعقد في تركيب العمليات الاقتصادية والعلمية والثقافية، بالاضافة إلى المصاعب المتزايدة في القدرة على التحكم في المشاكل المتباينة المتنوعة في نفس الوقت».

فالمشاكل التي يواجهها العالم لم تعد مشاكل بسيطة متميزة، بل اصبحت مركبة متشابكة، تواجه العالم بأكمله من ناحية، والأقاليم والدول كل على حدة من ناحية اخرى.

من أبرز هذه المشاكل: تجنب ويلات حرب نووية عالمية، وتأسيس الظروف التي تساعد على قيام العلاقات الدولية على أساس سلمي، ثم التطوير الاجتماعي والتنمية الاقتصادية لدول العالم، وأيضاً التغلب على أكبر مظاهر الظلم الاجتماعي على سطح الأرض، ونعني بذلك الجوع والفقر. ثم الاستخدام العاقل للموارد الطبيعية، وتطوير وتطبيق سياسة سكانية فعالة، ووضع استراتيجية للحفاظ على البيئة وحمايتها من التلوث الذي يسودها حالياً. وهناك أيضاً مشكلة تطوير التعاون بين الدول في مجال البحث العلمي، بصرف النظر عن التناقضات السياسية والايديولوجية، والاتفاق على أحسن وجه لاستثمار نتائج الثورة العلمية والتكنولوجية. واخيراً، مشاكل التعليم والصحة.

حل مثل هذه المشاكل بطريقة فعالة، يقتضي تضافراً وتركيزاً في جهود ممثلي العديد من العاملين في ميادين النشاط البشري، بما في ذلك العاملين في مجال الفلسفة، والتي عن طريقها يمكن أن تحدد رؤيتنا الخاصة للعالم، والاسلوب الذي يمكن أن نتبعه لتناول ودراسة المشاكل العالمية، وتقييمها بمفهوم انساني.

التنبؤات المتشائمة

وأهم ما يؤكد عليه د. فرولوف ـ على عكس ما يقدمه معظم علماء الغرب ـ هو أنه وإن كانت مشاكل العالم تنسحب على البشرية جمعاء، إلا أن ذلك لا يعني عدم ارتباطها بمضمون اجتماعي وطبقي. وهو يعيب على

معتنقي الفكر البرجوازي تجريداتهم المخلة، وعدم التفاتهم - عن وعي أو بلا وعي - لأهمية البعد الاجتماعي - السياسي.

وهو يرى أن نجاح اكثر المخططات العلمية والتكنولوجية كمالاً، يعتمد على الرؤية المحددة للواقع الاجتماعي، الذي تطبق عليه. ومثل هذه المخططات الناجحة، قد تخيب إذا ما استخدمت لعلاج المشاكل، واقعاً سياسياً واجتماعياً مخالفاً لذلك الذي وضعت من أجله.

إلى هذه الحقيقة ينسب فرولوف السر في ظهور تنوع عريض من التنبؤات المتشائمة في المجتمعات البرجوازية. وكمثال على هذا، يشير إلى كتاب «خيبة أمل في التقدم» لمؤلفه آرون، أو إلى محاولات الوصول ى حلول متفائلة بطرق تتضمن وتشترط تجميد التطور البشري، كما في ىالة جهد د. ميدوس وزملائه «حدود للنمو»، الذي يطرح فكرة التوقف من النمو في الانتاج وفي النمو السكاني.

وهو يعقد مقارنة بين جهد علماء المستقبل في الدول الرأسمالية، ونظرائهم في الدول الاشتراكية، فيقول إنه عند النظر إلى المشاكل العالمية، وعند التصدي لوضع الاستراتيجيات الكفيلة بحلها، يعتمد "لماركسيون على رؤيتهم الجدلية واطارهم الفكري الكامل في النظر إلى مشاكل العالمية، من حيث طبيعتها السياسية والاجتماعية، وأيضاً من حيث الطبيعة الانسانية للعلوم والتكنولوجيا والثقافة والاخلاق. ويرى الماركسيون بوضوح الجذور التاريخية للمشاكل العالمية، كما يتنبهون إلى الدور الذي لعبه تطور الانتاج والعلوم والتكنولوجيا في تعميق المشاكل

الراهنة. وهم يدركون في نفس الوقت أن هذه المشاكل بطبيعتها لا تشكل كارثة، وأنها قابلة للحل تماماً. وحلهم النهائي لشبكة المشاكل الراهنة يعتمد على أساس من العدالة الاجتماعية، الذي يتحقق - في رأيهم - عند تطبيق علاقات المجتمع الشيوعي.

الامكانيات المحدودة للدول الاشتراكية

يتحدث فرولوف عن الوضع الحالي للبلاد الاشتراكية ودورها في حل المشاكل الراهنة، ثم ضرورة التعاون الدولي لحل هذه المشاكل، فيقول:

.. واليوم، وبالرغم من الامكانيات المادية والعلمية التكنولوجية المحدودة للبلاد الاشتراكية فإنها تبذل غاية جهدها لحل المشاكل العالمية، بطرق تنبع من الطابع الانساني لهذه المجتمعات الجديدة. ومع ذلك، فالمشاكل العالمية الراهنة، بطبيعتها الخاصة، تستلزم تضافراً في الجهود، ليس فقط على المستوى الدولي والاقليمي، ولكن على المستوى العالمي. وهذا بالتحديد هو السبب في أن الدول الاشتراكية تسعى إلى تطوير اساليب التعاون الدولي المناسبة، بما في ذلك التعاون مع الدول الرأسمالية.

«فاليوم، تزايد بشكل كبير نطاق النتائج غير المرغوبة للتطور الصناعي، وتضاعفت حدتها، واصبحت لا تمس دولة بعينها أو اقليماً بعينه، بل ينسحب أثرها على العالم باكمله. كما أن التهديدات المتزايدة الناجمة

عن الفشل في حل هذه المشاكل، تتطلب اجراءات مناسبة عاجلة، وبدون هذا فإن تفاقم الوضع الراهن قد يؤدي إلى كارثة، ويصل بالعالم إلى اوضاع مأساوية. . لقد اصبح التصور الواقعي لمستقبل الجنس البشري اشتراطاً ضرورياً لتنظيم مسار التقدم، وانقاذ مصير البشرية. وقدرة البشرية على مواجهة مصادر التهديد الراهنة، التي تؤثر بشكل حتمي على مصيرها ومستقبلها، تتوقف على سبيل التطور الذي ستختاره.

تبرير اخطاء المجتمع الرأسمالي

ثم ينتقل فرولوف بعد ذلك إلى استعراض وطرح أهم الجهود التي بذلت في انحاء العالم للتنبؤ العلمي بالمستقبل، وهو يحاول أن يكوّن موضوعياً في نقده لكل محاولة من هذه المحاولات.

ومع تباين رأيه في التقارير والدراسات التي تجري في الدول الرأسمالية، إلا أن نقده لها ينبع من مثاليتها، وعدم اعتبارها للابعاد الاجتماعية والسياسية للمشاكل التي تتحدث عنها، وهو يرى فيها محاولات لتبرير اخطاء المجتمع الرأسمالي، وتزيين صورته، واعطائه دفعة جديدة تطيل من أمد وجوده، اكثر منها محاولات واقعية عملية للبحث عن الجذور الحقيقية لهذه المشاكل، والتي تنبت في أرض تناقضات المجتمع الرأسمالي.

وهو يبدأ استعراضه الشامل الجاد لجهود التنبؤ بالمستقبل والبحث عن حلول للمشاكل الراهنة، يبدأ هذا باستعراض المنشور البابوي الأول، فيقول:

«البابا يوحنا بولس الثاني في منشوره البابوي الأول، تحت عنوان «خلاص البشرية» يدعو الكنيسة أن تستجيب بتعاطف مع المثل العليا البشرية عند انسان العالم الحالي، وأن تركز جهودها على ما هو محدد وتاريخي. في ذلك المنشور، ينادي البابا، مع اقتراب بداية الالف سنة الميلادية الثالثة، بضرورة التوصل إلى سبب ذلك الاحساس المتزايد لدى الانسان بالخوف. والتوصل إلى تفسير لظاهرة تعرض الانسان لخطر ناشىء عن ثمار عمله، يهدد كيانه المادي والروحي. وكان من المتوقع أن يشير البابا يوحنا بولس الثاني بعد ذلك إلى الاسباب «الاجتماعية ـ السياسية المحددة والتي ينبع منها ذلك الخطر، لكنه يكتفي بمجرد ابداء ملاحظة يذكر فيها أن الهياكل والمخططات المالية والنقدية والانتاجية والتجارية التي يعتمد عليها اقتصاد العالم، فشلت في التغلب على مظاهر الظلم الاجتماعي الموروثة من الماضي، كما فشلت في مواجهة المشاكل والاحتياجات الخلقية الجديدة، والتي يتزايد مدى الحاحها. . ».

وفي مواجهة تلوث البيئة، وتصاعد المواجهة المسلحة، وخطر افناء الجنس البشري والعالم من جراء سباق انتاج الاسلحة الذرية والهيدروجينية والنيوترونية، وغيرها من آلات الدمار الجماعي، يدعو البابا إلى الالتزام بأصول وقواعد تضع حداً لهذه المأساة، وتنهي في نفس الوقت التضخم والبطالة، وما ينتج عنهما من تحلل خلقي. يعقب فرولوف قائلاً: كيف يمكن أن يتحقق هذا؟ ، إن اجابات البابا، التي جاءت مبهمة للغاية لا يرد فيها اكثر من ذكر «مبادىء التضامن» كمصدر استيحاء عند

البحث عن انسب اشكال المؤسسات والنظم والخطط العقلانية العادلة، والقول بالبحث عن انسب الطرق لتغيير اسس الحياة الاقتصادية، بما يؤدي إلى «تغيير في العقل والروح».

ويرى فرولوف أن هذا البرنامج المجرد جداً في توجهه الاجتماعي ـ السياسي، يستند اساساً إلى الفكرة الانسانية العامة للمسيحية، والتي تنادي بتغيير «جوهر الانسان»، كركيزة لكل التغيرات الاجتماعية الاخرى. ويقول إن هذه الفكرة نجد لها اليوم تنويعات علمانية عديدة، وبصفة خاصة نجد لها انعكاساً واضحاً في تقارير «نادي روما». وفي رأيه أن هذه الفكرة لا تزيد ـ في أغلب الاحيان ـ عن مجرد واجهة انسانية، لاعتذار عملي عن مستقبل العلاقات الرأسمالية.

المدن الفاضلة

هذا التوجه، يبدو واضحاً في اكثر من «مدينة فاضلة» غربية، يتم تخطيط ابعادها انطلاقاً من وجهة نظر «التفاؤل التكنوقراطي»، ويجري فيها الحديث عن مجتمعات ما بعد المجتمع الصناعي، الامر الذي نجده في كتاب «المائتا سنة القادمة، سيناريو لامريكا والعالم». الذي وضعه هـ. خان بالاشتراك مع آخرين. والكتاب ينادي باجراء بعض التحويرات المستقبلية على المجتمع الرأسمالي، مما يوحي بأن العالم سيسير مستقبلاً على نفس النهج الذي سارت وتسير عليه الولايات المتحدة الامريكية.

نفس التوجه نجده فى الدراسات المجمعة التي ظهرت بعنوان «أوروبا

«٢٠٠٠» ، والتي تمت تحت اشراف الاستاذ ب. هول. كما جرت في عام ١٩٨٠ محاولة للتنبؤ العلمي بمستقبل المشاكل العالمية، «الجنس البشري عام ٢٠٠٠» ، وذلك لكي تقدم إلى رئيس الولايات المتحدة الامريكية.

هذه الدراسة لا تحاول أن تتنبأ بما سيحدث بشكل محدد، لكنها تصف الظروف التي يمكن أن تنشأ، إذا لم تحدث تغيرات جوهرية في السياسات الحكومية، أو في معدل التطورات التكنولوجية، وإذا لم تنشب حروب جديدة، أو تطرأ تغيرات حادة في المجتمع الدولي. وما توصلت إليه هذه الدراسة من استخلاصات، رغم أنها تمت من وجهة نظر من قاموا بها، تعتبر غير مواتية إلى أبعد حد. وهي تجري تعديلات جوهرية على العديد من التنبؤات السابقة، التي كانت تسعى إلى استنباط أي مؤشرات تفاؤل في مستقبل المجتمع الرأسمالي.

ويؤيد التقرير أن الشواهد المتاحة حتى الان لا تدع مجالاً للشك في أن العالم، بما في ذلك الولايات المتحدة الامريكية، سيواجه في السنوات القادمة مشاكل مركبة. هائلة وعاجلة. . وإن الامر يتطلب تغيرات مباشرة وحازمة في سياسة أمريكا، حتى يمكن تجنب هذه المشاكل، أو الحد من تفاقمها، قبل أن تصبح مستعصية على الحل.

وعندما يحين وقت طرح الحلول، يبتعد التقرير عن الموضوعية، ويعود إلى التحدث عن الدوافع الانسانية، و«التعاون غير المسبوق بين

الأفراد، والمشاركة الجماعية» ، وغير ذلك مما يبتعد بالحديث عن ارضيته العلمية الواقعية.

العصا السحرية

ونفس القول ينسحب على التقرير الامريكي الذي جرى وضعه عام ١٩٨١ تحت عنوان «مستقبل الارض: حان وقت العمل» ، والذي يعلق عليه فرولوف قائلاً «ولا يمكن انكار ما في هذا التقرير، وما في غيره، من موضوعية، وصدق في المعلومات، إلا أن الاستخلاصات التي يصل إليها علماء التنبؤ العلمي البرجوازيون، تتفق دائماً مع وضعهم الطبقي، وتجيء بحيث تخدم كنوع من الاعتذار عن اخطاء الرأسمالية الحالية والمستقبلة».

وبشكل عام، يرى فرولوف أن علماء التنبؤ العلمي بالمستقبل في العالم الرأسمالي يبحثون عن استخلاصات جديدة تساعدهم على البحث عن دور للرأسمالية في الالف الثالثة للميلاد. فرغم أنهم يتحدثون كثيراً عن ضرورة اجراء تغيرات جوهرية في هيكل النظام الرأسمالي، إلا أنهم جميعاً يحكمهم هدف ملح، هو تجنب البديل الاشتراكي. يقول فرولوف «إن الاستخلاصات المستقبلية للمصلحين البرجوازيين يقدم فيها التطور العلمي والتكنولوجي كعلاج لكل الشرور، وكعصا سحرية، من المفترض أن تستطيع الرأسمالية بمساعدتها أن تحظى بدفعة جديدة، دون أن تضطر إلى تغيير طبيعتها. . واساطيرهم المستقبلية تتحول الى اعمال مثيرة تطبع

منها الملايين، وتستلهمها اعمال الخيال العلمي والافلام السينمائية والبرامج التليمزيوبية في العالم العربي. وكلها تسعى الى ابهار الافراد، وتوجيههم، واعلاء امالهم، أو إلى مجرد تسليتهم

أي أن هذه المحاولات من جانب علماء المستقبل في الغرب، يبدو أنها تسعى إلى هدف عام، هو اثبات أن التقدم العلمي والتكنولوجي - بصرف النظر عن النظام الاجتماعي الذي يتم في اطاره - يضع الانسانية في مواجهة التحدي المشترك من أجل البقاء. وكنتيجة لهذا فإن الفروق بين الرأسمالية والاشتراكية من المفترض أن تختفي. الامر الذي ينادي به آلفين توفلر، وهو ما سنعود إلى طرحه بتوسع، بعد ان ننتهي من تقديم وجهة نظر العلماء الماركسيين في مستقبل العالم، وفي جهود علماء المستقبل في الغرب.

تقارير نادي روما

ويرى فرولوف أن نفس هذا التصور، أو ما هو قريب منه، تتسم به التقارير التي قام بها علماء المستقبل، والتي صدرت عما عرف باسم «نادي روما». فالعامل المشترك في هذه التقارير، عند بحث ازمة، مثل ازمة التكدس السكاني، أو ازمة البيئة، أو موارد الطعام والطاقة والمواد الخام، هو النظر إليها كعناصر في ازمة عامة شاملة تواجه تطور العالم كله، دون محاولة بحث الطبيعة الاجتماعية - السياسية لهذه الظواهر. وهكذا تتجاهل هذه التقارير الاحتمالات الاجتماعية - السياسية للتغلب على هذه الازمات.

ولقد اقترحت جماعة فورستر وميدوس، في التقرير الأول لنادي روما، سياسة «تجميد النمو» ، مما يعني الحد من مستويات الانتاج، ومن معدل استهلاك الموارد الطبيعية، كوسيلة لتجنب الاوضاع التي تهدد البشرية. وكان من رأيهم أن مثل هذا الاجراء من شأنه أن يحقق حالة من الاستقرار طويل المدى. في هدا يقول فرولوف «إذا أتى هذا الهدف خارج اطار برنامج اجتماعي ـ سياسي محدد، ينجح في تنظيم وتوجيه الجنس البشري في بحثه عن تطوره، فسيبقى هذا الهدف كمجرد مدينة فاضلة، أو حلم ينقصه الاساس العملي».

و «النظام العالمي» الذي اقترحه ميدوس مع زملائه، أثارت نواقصه انتقاد العلماء الماركسيين وغير الماركسيين. فسياسة تجميد النمو التي يقترحها للنظام العالمي، تتضمن في حقيقة الامر اقتراح ابقاء الوضع على ما هو عليه، بكل ما فيه من مظالم وعدم مساواة. ذلك لأن التقرير لا يعلق على الفوارق في مستويات التطور الاجتماعي ـ الثقافي، لا في المجتمعات الرأسمالية بين الطبقات، ولا في الحياة الدولية بين الدول النامية والدول الرأسمالية الصناعية.

تدارك الاخطاء

والنماذج العالمية التالية لنادي روما، جاءت لتستدرك النقد الذي وجه إلى النموذج الأول. وهي تتضمن تقرير «الجنس البشري عند نقطة التحول» الذي قام به ميزاروفيك وبيستيل، و«اعادة تشكيل النظام العالمي» الذي تقدم به تينبرجين. ثم ذلك النموذج الذي قدمته مجموعة من العلماء

اليابانيين باشراف الاستاذ كايا تحت اسم «التوتر العالمي، ورؤية جديدة للتطور». وهناك نموذج آخر قامت به مجموعة من علماء أمريكا اللاتينية تحت اشراف هيريرا وقد تركز أساساً على وسائل الاقتراب من المشاكل العالمية للدول النامية.

أما التقرير الذي ظهر بعد ذلك باسم «اهداف للجنس البشري» ، والذي قامت به مجموعة من العلماء تحت اشراف لازلو، فقد جاء ليعبر عن الحاجة إلى اعادة بناء النظام الموضوع حالياً لاهداف ومعايير التطور الاجتماعي.

وتلاه النموذج الذي تقدم به دكتور جابور مع عدد من الزملاء تحت اسم «ما بعد عصر التبديد». وفيه يتأمل امكانيات التقدم البشري بتشاؤم اقل، ودون انكار احتمالات المزيد من النمو الاقتصادي والعلمي والثقافي. وهو يتميز عن غيره من النماذج التي سبقته، والصادرة عن علماء «نادي روما» ، بأنه يدخل في اعتباره الاختلافات الحالية في مستويات التطور الاقتصادي والسياسي والثقافي لمختلف دول العالم.

ولنبدأ باستعراض النموذج الأول من نماذج «نادي روما».

النمو العضوي

نموذج ميزاروفيك وبيستيل يقدم ما يسمى بالنمو العضوي، والذي يعتمد على عملية البناء المتكامل، وليس على الزيادة الكمية غير المتكاملة. وهما يقدمان باستعارة مظاهر النمو في الكائن الحي، عند تأمل

نمو «النظام العالمي» ، وبخاصة مبدأ التخصص في الاجزاء المختلفة، مع تحقق مبدأ الاعتماد الوظيفي المتبادل بين هذه الاجزاء في نفس الوقت. ومما يشجعهما على الاخذ بهذه الاستعارة، التأثير المتبادل للازمات، مثل ازمة السكان، والبيئة والطعام، والطاقة، والمواد الخام . . وذلك التبادل الذي يصنع في محمله الازمة العالمية الشاملة.

ويرى فرولوف في هذا خطوة ايجابية إلى الامام، لأن مبدأ «النمو العضوي» ينبع من الاعتراف بتنوع الاجزاء والمناطق في العالم، وبالتبعية تنوع الاوضاع الدولية. إلا أنه ينتقد صاحبي التقرير بالنسبة لصفة التجريد التي تسوده. والاقتراحات والحلول ذات الطابع الطوباوي المثالي، التي يقصد بها حل المشاكل الحالية والمستقبلية.

من امثلة ذلك، ما يوصيان به من تغيرات عامة في العلاقات الاجتماعية والفردية عن طريق اقامة نظام تعليمي جديد يناسب القرن الحادي والعشرين. وأن يكون الموضوع الاساسي في هذا النظام، هو تدريس كل ما يتصل بالجنس البشري والخبرة البشرية. ويرى فرولوف في مثل هذه الاقتراحات نوعاً من مجانبة الواقع وبعداً عن الامكانيات الفعلية، ويرى أن مرجع ذلك إلى أن التقرير يستبعد الرؤية الطبقية، عند النظر في المشاكل المطروحة.

ونفس هذا القصور ينسحب على التقرير الذي وضعه تينبرجين تحت اسم «اعادة تشكيل النظام العالمي» ، وإن كان فرولوف يرى في هذا التقرير بعض الجوانب الايجابية، مثل ما تم اقتراحه لتغيير العلاقات

الاقتصادية الدولية، ومثل اشارته إلى ضرورة نزع السلاح، وتحويل الجهد العسكري إلى أغراض سلمية.

الاشتراكية أسرع في التطور الاقتصادي

ورغم أن مشروع علماء أمريكا اللاتينية باشراف الاستاذ هيريرا، يتضمن تحليل مشاكل المستقبل بطريقة تتضمن الاعتراف بالعوامل المركبة للأزمة الحالية، إلا أنه يقسم العالم إلى دول «غنية» ، ودول «فقيرة». ومصدر اعتراض دكتور فرولوف على هذا، هو أنه يضع الدول الرأسمالية والدول الاشتراكية في كفة واحدة. وإن كان يوافق على ما جاء في التقرير من اعتبار المجتمع «اشتراكياً بالضرورة» ، وأن السبيل إلى تحقيق هذا يتم من خلال «تغييرات جذرية في النظام الاجتماعي للعالم، وفي المنظمات الدولية» ، بهدف تخليص العالم من التخلف والقهر.

ويبدي فرولوف تقديراً خاصاً للتقرير الذي يحمل اسم «مستقبل اقتصاد العالم» ، والذي قام به العالم الامريكي ليونتييف، الحاصل على جائزة نوبل، بالاشتراك مع فريق من الباحثين، وبتكليف من الامم المتحدة. وهو يرى أن ليونتييف اكثر واقعية من علماء نادي روما، فالنموذج الشامل للنظام الاقتصادي العالمي الذي يقترحه، يقتضي تقسيم العالم إلى ١٥ منطقة، ثلاث منها تشمل الدول الاشتراكية أي أنه يفرق في التصنيف وفي اقتراح الحلول بين الدول الرأسمالية والدول الاشتراكية.

وقد ذكر ليونتييف في تقريره أن الاشتراكية اثبتت حتى الآن أنها اكثر

قدرة على القيام بمعدلات اسرع في التطوير الاقتصادي، مما يجعل بإمكانها أن تحل العديد من المشاكل التي ما زالت تستعصي على الحل في العالم الغربي، ويرى ليونتييف أن المستقبل سيحمل الينا مزيداً من نصيب الدول الاشتراكية في الانتاج العالمي.

ومع هذا، ينتقد فرولوف التقرير قائلاً «إن الحلول الاقتصادية والتنظيمية التي يقترحها المؤلف للتغلب على الهوة بين الدول المتطورة والدول النامية، أو على الاقل الحد من هذه الهوة، لا ترتبط بأي اطار اجتماعي ـ سياسي محدد. فهو لم يوضح بشكل محدد أي الطبقات، ومن بين هذه الطبقات، سيتكفل بانجاز الاقتراحات التي وضعها لحل مشاكل التطور العالمي. . ».

المهم هو الجنس البشري

ومن بين التقارير المختلفة المتتالية التي صدرت عن علماء «نادي روما» ، يشيد فرولوف بالافكار التي جاءت في التقرير المسمى «ما بعد عصر التبديد» ، الذي قام به العالم جابور مع عدد من الزملاء. فهو يرى أن هذا التقرير اكثر اقتراباً من الجوهر الفعلي للمشاكل.

يقول تقرير جابور إن مواجهة المصاعب الحالية في التطور العالمي لا تتوقف على امكانيات العلم والتكنولوجيا، بل على قدرة الجنس البشري نفسه، وكذلك على قدرة الحكومات المختلفة، على تطوير اهداف سياسية واجتماعية، واستنباط مؤسسات وآليات، يمكن أن توجه مسار

انجازات العلم والتكنولوجيا الوجهة التي تحقق توافقاً وانسجاماً في التطور الاجتماعي.

ويرى جابور أن قصور المؤسسات الاجتماعية، والنظم الاجتماعية ـ الاقتصادية، هو المسئول عن التبديد غير الجائز، ليس فقط في الموارد الطبيعية للكرة الارضية، بل في الموارد المادية والبشرية أيضاً. ومن بين الاسباب التي يعزو اليها جابور هذا التبديد، ما يجرى من تأكيد شديد على الحافز الاقتصادي، الذي يؤدي إلى كفاح متواصل لزيادة الاستهلاك، ولا يساهم في التقدم الاجتماعي، أو التطور المتجانس للمجتمع والفرد.

ويرى جابور أن رفض مثل هذا النظام المؤدي إلى التبديد، والانتقال إلى نظام تطور اجتماعي ـ اقتصادي اكثر توازناً، يفترض مسبقاً عملية جوهرية ضخمة، لاعادة تشكيل المؤسسات القومية والدولية، ويفترض اجراء تحسينات في نظام اتخاذ القرارات، وفي استخدام الموارد المادية والبشرية. ويفترض في نفس الوقت تغييرات في اسلوب الحياة، ومراجعة للاهداف الاجتماعية ـ السياسية، ثم اعادة ترتيب اولويتها.

ومع الاستحسان الذي يبديه فرولوف لتقرير جابور، إلا أنه يعود فينتقد التقرير متسائلاً، «ولكن . . كيف يمكن لهذا أن يتحقق؟ . . التقرير لا يقدم اجابة واضحة، ويفترض أن هدف المجتمعات الجديدة، التي يمكن اصلاحها وفقاً لما جاء في التقرير، يجب أن يكون التحسين المستمر في طبيعة الحياة، وخلق الانسجام بين الطبقات الاجتماعية، وبين الشعوب،

وبين الافراد. ورغم أن وصوله إلى هذا كله، لا يجيء عنـده من خلال اشتراطـات محـددة، إلا أنـه يلفـت النظـر إلـى دور العوامـل الاجتماعية ـ الاقتصادية في حل المشاكل العالمية، اليوم وفي المستقبل. والنقيصة التي في هذا الطرح، تتركز في ما يبديه من تأكيد على ضرورة إحداث التغييرات في «خامة» الانسان. بينما يكون من المستحيل أن يتم ذلك، دون اجراء تحولات اساسية في البيئة الاجتماعية ـ الاقتصادية التي يعيش فيها. . !!

الفصل الثامن

بين المستقبل الرائع . .
والهاوية السحيقة!

استعرضنا فيما سبق المشروعات والتقارير والدراسات التي قدمها علماء المستقبل في العالم الرأسمالي. . في الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية وأوروبا واليابان، كما طرحنا وجهة نظر العالِم السوفييتي دكتور إيفان فرولوف في هذا كله.

وقد دار نقد فرولوف لهذه الجهود حول أمرين، أولهما أن علماء العالم الرأسمالي يتحدثون عن العلم والتكنولوجيا وكأنهما العلاج الشافي لكل مشاكل العالم، وثانيهما أنهم ينظرون إلى التقدم العلمي والتكنولوجي بمعزل عن الأرضية الاجتماعية ـ السياسية التي يجري فوقها. وهو يرى أن هدف هؤلاء العلماء ـ الضمني أو المعلن ـ هو تبرير أخطاء المجتمع الرأسمالي، والاعتذار بالعلم والتكنولوجيا عن مواجهة الأمر الواقع اجتماعياً، وعن محاولة إعادة النظر في طبيعة النظام الرأسمالي المسئول ـ في رأيه ـ عن المشاكل التي يتزايد تعقدها يوماً بعد يوم، في الغرب، وفي العالم كله.

وعند نقد دكتور فرولف للتقارير والدراسات التي قام بها علماء العالم الرأسمالي في إطار ما يطلق عليه «نادي روما»، قال إن الإقتراحات المطروحة لعلاج المشاكل العالمية تتسم بالتجريد الشديد، والمثالية الممعنة، وإنها لا تزيد على كونها حلماً لمدينة فاضلة، يصعب تحقيقه في إطار الأمر الواقع العالمي.

وفي نهاية استعراضه هذا، يركز فرولوف على أحدث التقارير التي صدرت عن «نادي روما»، وهو التقرير الذي نشر تحت اسم «خريطة لطرق المستقبل»، وقام به العال بوجدان هفريليشين، مدير المعهد الدولي للإدارة. يقول فرولوف إن هذا التقرير يختلف عما سبقه من تقارير نادي روما، في انتباهه الى الحقائق الاجتماعية ـ السياسية للعالم، ولذا فهو يعتبره علامة من علامات التحول، الذي يتمثل في الانتقال مباشرة من اهمال الرؤية الاجتماعية، الى الهجوم المباشر على الاشتراكية والنظام السوفييتي.

في مقدمة هذا التقرير يشرح هافريليشين اهتمامه التحليلي الأكبر في تصديه لموضوع المشكلات العالمية، يعني بذلك الوظيفة المؤثرة للتركيب الاجتماعي. وهو يرى أن هذه الوظيفة تشكل نتيجة للتفاعلات المتبادلة بين ثلاثة مكونات: مجموعة القيم التي يتمسك بها مجتمع ما، وأشكال تنظيماته السياسية، وطبيعة نظامه الاقتصادي.

وفي الفصل الأول من هذه الدراسة، يختبر المؤلف كل واحد من هذه المكونات بشكل أكثر تحديداً، وكذلك يسلط الضوء على التفاعلات المتبادلة التي تجري ويقرر أن هذه التفاعلات، هي المسئولة عن تحديد مدى فعالية أي نظام اجتماعي في حل المشاكل التي تواجهه.

في حديثه عن انماط القيم التي تنبني عليها مختلف النظم الاجتماعية، يميز هافريليشين ثلاث مجموعات مؤثرة رئيسية لكنه لا يقول أي هذه المجموعات تكون مصيرية في تحديد فعالية المجتمع. ويكتفي بالقول أن تفاعلها المتبادل هو الذي يحدد مدى فعالية أي نظام اجتماعي.

ويدعو المؤلف ـ بناء على ما جاء في تحليله ـ إلى فكرة إنشاء نوع من «النظام العالمي» العام، الذي يسمح تركيبه للبشرية أن تواجه بنجاح، كلاً من المشاكل العالمية الحالية، والمشاكل التي من المحتم أن تظهر مستقبلاً. وهو يؤمن أن مثل هذا «النظام العالمي»، يجب أن يقوم على مبدأ التعاون، وأن يتخلى عن مبدأ «عبادة السيادة» من جانب الحكومات، وأن يبتكر نمطاً خاصاً من «التلاقي» بين مختلف النظم الاجتماعية.

وعند تعرضه لمشاكل إقامة «النظام العالمي» الذي يدعو إليه، يقدم المؤلف عدداً من وجهات النظر الإيجابية الناضجة، مثل دعوته إلى إنهاء سباق التسلح، وإقامة أشكال طبيعية من التعاون بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة. لكنه عندما ينتقل إلى طرح الأساليب والطرق الكفيلة بتحقيق هذه الأهداف، يورد من التصورات، ما لا يمكن أن يوصف إلا بأنه تدخل في الشئون الداخلية لبعض الدول.

وهذا هو ما يستثير دكتور فرولوف، فهو يقول إن المؤلف عندما تصدى للأوضاع في الإتحاد السوفييتي، نادى «بتحوير» في النظم الاجتماعية السائدة فيه. كما أنه ـ أي المؤلف ـ دعا إلى إعادة تنظيم الأوضاع الاشتراكية لعدد من الدول، على ضوء الأهداف التي حددها للنظام العالمي الذي يقترحه.

إلا أن فرولوف يعود ويسجل لحساب المؤلف، أن التحليلات التي قام

بها قادته إلى استخلاص مفاده أن المقاييس والمعايير القائمة حالياً ليست كافية أو مناسبة، عند التصدي للمشاكل العالمية الراهنة، والمستقبلة.. كما قادته الى ضرورة التوصل إلى استنباط معايير أكثر تكاملاً، وأكثر تركيباً، تصلح لهذه المهمة.

التعايش السلمي

هذا هو بعض ما يعلق به دكتور فرولوف على الدراسات الأخيرة التي تصدت لحل المشاكل العالمية الراهنة والمستقبلة، والتي تمت على أيدي العلماء المختصين في الدول الرأسمالية.. فما هي الرؤية التي يطرحها هو في هذا المجال؟.. وهل تتوفر فيها صفتا الموضوعية والواقعية اللتان يفتقدهما في دراسات علماء الغرب؟

يقول دكتور فرولوف عضو أكاديمية العلوم السوفييتية، وأستاذ الفلسفة:

«لقد أصبح الجانب الأكبر من الجنس البشري واعياً بحقيقة أن التقدم العالمي الشامل لم يعد ممكناً في ظل الحضارة البرجوازية، حتى بعد أن أدخلت عليها بعض اللمسات الإصلاحية ومحاولات التجديد، ولكن دون أن تتخلى عن علاقات الملكية الخاصة. وما زالت قدرة الرأسمالية على خلق المخاطر ذات المدى العالمي، علامة من علامات افتقادها لمقومات النمو والحياة. إن مجرد بقاء هذا النظام الاقتصادي في عالمنا اليوم، لهو في حد ذاته بمثابة تهديد للوجود العالمي بشكل عام.. وحتى عندما عمدت بعض الحكومات الرأسمالية إلى أنماط إصلاحية في

تنظيماتها الاقتصادية، فقد أظهر ذلك بشكل أوضح عدم قدرتها على تغيير الطابع الفوضوي الذاتي للتقدم الرأسمالي بصفة عامة. . »

ويقول فرولوف إن الماركسيين قدموا إجابة علمية على السؤال المتصل بمستقبل الجنس البشري. . وهي إجابة تدخل في اعتبارها جدة الوضع الذي وصلت اليه الأحوال العالمية، وتقدم حلاً للمشاكل العالمية من خلال خلق مجتمع عالمي جديد. لكنها في نفس الوقت لا تستبعد البحث عن حلول مشتركة لمستقبل الجنس البشري، عن طريق تطوير الأنظمة الاجتماعية المتعارضة، أي بين الاشتراكية والرأسمالية. وهو يقول «لقد ثبت أنه لا يمكن خلق نماذج جديدة للمستقبل، أو إجراء تنبؤات حول أوضاع العالم ونحن ندخل الى الألف الثالث من الميلاد، إلا إذا اعترفنا بهذه الرؤية».

مشكلة البيئة لأول مرة

ويحاول فرولوف بعد ذلك أن يشرح أسس التفكير الماركسي عند التصدي لحل مشاكل العالم، فيقول إنهم يلتزمون بمنهج مركب يطبقو على الموضوع الخاضع للدراسة، منهج يدخل في اعتباره تطور الظاهر والتغيرات التي طرأت عليها، وأبعادها التاريخية زماناً ومكاناً، في إط التناقضات وصراع الأضداد الذي يحكمها. ويقول إن أسلوب البحث الماركسي يدفع الباحثين إلى الاهتمام بجدلية العلاقات والتأثير المتبادل بين الدولي أو العالمي أو القومي، وبين مظاهر التطور العالمي ونحن على مشارف الألف الثالث للميلاد من ناحية، وبين المظاهر الناتجة عن

التركيب الطبقي لكل مجتمع من المجتمعات.

وتناول الماركسيين لجوهر المشاكل العالمية الحاضرة والمستقبلة، ودور هذه المشاكل في حياتنا، يرتكز على تحليل المعالم المميزة للتطور العالمي كما هو الآن، ليس فقط على المستوى الاقتصادي، ولكن أيضاً على مستوى العلاقات الاجتماعية ـ السياسية، وعلى المستوى العلمي والثقافي. وبإختصار فهم يسعون إلى الإحاطة بأوضاع العالم كله، والجنس البشري بأجمعه، في نفس الوقت الذي يتوجهون فيه إلى الفرد.

إن مبدأ التوجه موضوعياً نحو التعاون الدولي، على حساب الحدود القومية، هو الذي أعطى العديد من المشاكل التي كانت موجودة قبلاً ذلك البعد العالمي، وخلق في نفس الوقت مشاكل جديدة. بعض هذه المشاكل ينشأ من التناقضات المتزايدة الحدة بين نشاطات الإنسان الخلاّقة والمتجددة، وبين إمكانية الطبيعة. فلأول مرة في تاريخ البشرية، ظهرت مشكلة تجنب العواقب السلبية للتأثير البشري على البيئة الطبيعية، وأصبحت هذه المشكلة في تفاقمها حقيقة واقعة لا يمكن إنكارها.

ثم هناك المشاكل الأخرى التي ترجع إلى تزايد عدد سكان الكرة الأرضية، وما يتطلبه هذا من حلول جديدة وعاجلة لمشاكل مصادر الطاقة ومواد الطعام وغير ذلك من المواد الضرورية، مما يقود إلى الاهتمام ببحث أساليب الاستفادة من ثروات المحيط، وإلى المزيد من اكتشاف احتمالات الاستفادة من الفضاء الخارجي.

إلا أن الاهمية الخاصة تعطى لأسلحة الدمار الجماعي الحديثة، والقادرة على التسبب في كوارث فعلية تؤثر على الحياة فوق سطح كوكبنا. وحلول المشاكل الرئيسية الأخرى، يعتمد على الطريقة التي سنحل بها سؤال الحرب والسلام، الذي كان لا يزال يشكل لب اهتمام البشر في تاريخهم المعروف.

يقول فرولوف «نحن الماركسيين نفهم تماماً أن التقدم التاريخي ليس طريقاً ممهداً ناعماً، أو مساراً سهلاً واسعاً، لكننا نؤمن بأنه سيجيء الوقت الذي يتحقق فيه قول ماركس: إن التقدم البشري لن يصبح بعد الآن كما كان من قبل، اشبه بصنم وثنيٍّ بشع، لا يشرب الرحيق إلا من جماجم ضحاياه..».

ويشرح فرولوف موقفه، فيقول إن التحليل الفلسفي الماركسي لمشاكل العالم ينبع من افتراض أن حلول هذه المشاكل عملياً وعلمياً يتطلب مستوى عالياً من الإنسانية والمسئولية، يناسب الطبيعة الخطرة لهذه المشاكل، ويناسب الوضع المعقد الذي سيصل إليه الجنس البشري إذا ما فشلت جهود حل هذه المشاكل. ثم يقول «وهذا هو ما يدعونا إلى القيام بتحليل نقدي للنتائج التي يصل إليها المصلحون البرجوازيون، عندما يرددون تعبيرات العالمية، ويطرحون نماذج النظام العالمي، ويقدمون أفكارهم الإنسانية في أنحاء العالم، ويتكلمون عن وحدة الضمير

العالمي. . إلى آخر هذه التعبيرات التي يتكرر ترديدها هذه الأيام في العالم الغربي، والتي تقدم إلينا كبرهان على التقاء مفترض بين الرأسمالية والاشتراكية، وتحض على تناول المسائل تناولاً غير أيديولوجي، وتدليلهم على أن المشاكل العالمية بطبيعتها، فوق الطبقات والمجتمعات والقوميات. . ».

الحيل الدعائية

ويواصل فرولوف طرح وجهة النظر الماركسية في اجتهادات علماء الغرب فيقول «إذا ما نظرنا إلى ما يمكن أن يطلق عليه «المؤشرات الاجتماعية ـ السياسية» للتفسير البرجوازي فيما يتصل بمشاكل العالم، سنجد أنه في أساسه: تبرير للميول التوسعية التي يتسم بها الاستعمار، ذلك التوسع الذي يسعى منظرو الغرب إلى تقديمه لنا باعتباره الأداة التي تقودنا إلى «المجتمع العالمي» الذي تختفي فيه كل المشاكل العالمية. على هذا الضوء يبدو لنا التوسع الاستعماري، والذي يخدم رؤوس الأموال العملاقة، قد تخفى وتنكر على شكل مساهمة في «التقدم الاقتصادي»، أو «النشاط الاقتصادي»، لحساب «الرخاء العام للبشرية». أما محاولات الاحتكارات الأمريكية في تطوير وسائل الاستفادة من المواد الطبيعية لحسابه، فهي تقدم إلينا على أنها طريقة لحل مشاكل العالم في مجال الطاقة والمواد الخام. كذلك، عندما ينقلون العمليات التكنولوجية الخطيرة على البيئة من الدول الصناعية إلى الدول النامية، يقولون إنهم بذلك يسعون إلى « التغلب على الفروق في مستويات التطور

الاقتصادي» ، أو أنها إحدى طرقهم في حل المشاكل البيئية , وحتى في مجال السباق على التسلح ، والذي تصعده الجماعات الاحتكارية لصناعة السلاح في العالم الغربي ، يقدم إلينا على أنه من اشتراطات تحقيق الأمن العالمي الشامل! . . »

ويعلق فرولوف قائلاً إن مثل هذه الحيل الدعائية لا يمكن أن تنجح في إخفاء المعنى الحقيقي لنشاطات رأس المال الاحتكاري العالمي. والنتائج المتحققة لنشاطه تقدم دليلاً مقنعاً على أنها أبعد ما تكون عن تقديم حلول للمشاكل العالمية ، وأنها في واقع الأمر تعمق هذه المشاكل وتجعلها أكثر حدة. ثم يقول «علينا تذكر أنه بسبب جدة الموضوع ، وصفته الاستثنائية ، فإن مواجهة العديد من المشاكل العالمية ، ومحاولة وضع حلول لها ، يعتمد بلا مناص على مدى النجاح في إعادة تركيب طرق الادراك ، وفي خلق أنماط جديدة من التفكير. وهذا يفترض مسبقاً إعادة بناء العادات والمفاهيم المستقرة ، الأمر الذي يصعب الوصول إليه ، حتى عندما تتوفر النية ، ويشتد العزم على استجلاء كل هذه المشاكل . . ».

العامل الاجتماعي

الفكرة الأساسية التي يركز عليها فرولوف هي أن دراسة العديد مر الأزمات المعاصرة ، تؤكد أن العامل الاجتماعي هو الأساس الذي يكمر خلف هذه الأزمات في الدول الرأسمالية ، متمثلاً في وجود الملكية

الخاصة لأدوات الإنتاج. . وهو يقول مفسراً «إن الكفاح المستميت من أجل الربح، بعد أن أصبح هدفاً في حد ذاته، انفصل عن الأهداف الأكثر أهمية، كالتطور الاجتماعي، والطموح البشري، والعقل، وكل اقتراب عاقل من تحقيق المصالح الاجتماعية للبشر. وهكذا. . بينما تحرص المجتمعات القائمة على الملكية الخاصة أن تبدو بمظهر القادر على التطوير السريع للعلم والتكنولوجيا، نرى هذه المجتمعات غير قادرة على إدارة ما تتوصل إليه من إنجازات في هذا الصدد. . بل إنها هي المجتمعات التي حولت العلم والتكنولوجيا إلى نوع من التهديد الرهيب لنفسها، وللطبيعة بشكل عام. . ».

تناقضات جديدة

ويرى دكتور فرولوف أن المشاكل العالمية التي تواجهنا قد أصبحت أكثر إلحاحاً نتيجة للتناقضات التي تنبع من المجتمع البرجوازي نفسه، ويعني بذلك الخصومات الاجتماعية والقومية. وتحول هذه المشاكل في بعض الأحيان الى مأس، هو النتيجة الطبيعية لتعميق التناقضات في ظل الرأسمالية، تناقض المصالح الخاصة لأصحاب المشاريع الاقتصادية مع مصالح الطبقات العريضة من العمال، وتناقض نمو الإقتصاد والثقافة في المجتمع البرجوازي، مع نتائج هذا النمو التي يتضاعف ضررها على الاخرين. . وبشكل أعم تناقض احتياجات التطور البشري مع أهداف المجتمع البرجوازي غير الإنسانية.

وهو يؤمن أن هذه التناقضات هي مصدر الروح العسكرية العدوانية

التي نراها في المدنيات البرجوازية، والتي هي السبب الأساسي في سباق التسلح، والمغامرات الحربية، ثم هي السبب في الاستخدام المتلف للموارد الطبيعية، وفي تلوث البيئة.. وأنها هي سر الهوة الواسعة بين المادية المتنامية في الدول الرأسمالية، والفقر الذي يشيع في الدول النامية.

واليوم، يضاف إلى تلك التناقضات المبدئية، تناقضات جديدة، تعتبر أكثر دلالة على مصير الحضارة الرأسمالية، ويقصد فرولوف بذلك، التناقضات بين الإمكانيات السياسية والاقتصادية والعلمية والتكنولوجية والروحية التي يكون عليها أن تتصدى للمشاكل والمخاطر العالمية العديدة، وبين عجز الرأسمالية عن الاستفادة من هذه الإمكانيات. فمع الإجراءات الواسعة الشاملة التي يتم اتخاذها في الدول الصناعية الرأسمالية لمواجهة عدد من المشاكل العالمية، فإن ثمار ونتائج هذه الإجراءات أكثر تواضعاً بكثير من امكانيات هذه الدول التكنولوجية والاقتصادية، والأدهى من ذلك، أن هذه الاجراءات لا تقوم على أساس برنامج تطوير اجتماعي - اقتصادي شامل وطويل المدى. ويرى فرولوف أن مرجع ذلك إلى أن الرأسمالية بطبيعتها ليس لديها مثل هذا البرنامج وليس بمقدورها أن تضعه.

الحل الكامل والنهائي

ومن ناحية أخرى، يطرح فرولوف أسلوب التصدي لهذه المشاكل في الدول الاشتراكية فيقول: «. . وهذا هو السبب في أن الماركسيين عندما يتصدون لوضع استراتيجيات التنمية، وتكتيكاتها المرحلية، بهدف وضع حل عملي للمشاكل العالمية، يتجهون إلى خبرات التطبيق الاشتراكي القائمة. . إنهم يدرسون كل الأبعاد الحالية للمشاكل العالمية، في إطار تناقضات عصرنا الأساسية. . ».

«ومع التفهم الكامل من جانب الماركسيين للمصادر التاريخية المتصلة بالمشاكل العالمية، والدور الذي لعبه تطور النشاط الإنتاجي والتكنولوجي والعلمي في تعميق هذه المشاكل إلا أنهم لا يعتبرون هذه المشاكل ذات طبيعة فتاكة وجالبة للكوارث، بل يعتبرونها قابلة تماماً للحل. والحل الكامل والنهائي لهذه المشاكل يكون ممكناً فقط في وجود قواعد اجتماعية مناسبة، وبالتحديد في إطار المجتمع الشيوعي. . ».

ومع ذلك، يعود فرولوف ليقول إن حل هذه المشاكل أصبح صعباً ومعقداً للغاية، بسبب اتساع نطاقها التاريخي الذي بلغته، والذي لم يسبق له مثيل. ويشرح قائلاً إنه لأول مرة في التاريخ يتسع نطاق تأثير هذه المشاكل ليشمل الكرة الأرضية بأكملها، بكل ما فيها من مناطق ودول. ولا يمكن التصدي لحل إحدى هذه المشاكل بمعزل عن باقيها. على سبيل المثال، لا يمكن القضاء على الجوع والفقر بدون المزيد من إنتاج البضائع والطعام، وأيضاً بغير سياسات سكانية فعالة، كما أن حل هذه

المشاكل يعتمد بدوره على النجاح في سياسة الوفاق، ونزع السلاح، التي ستوفر مصادر اقتصادية هائلة، ويعتمد على إجراء تغيرات في العلاقات الاقتصادية للعالم، وعلى المزيد من إستثمار ثروات المحيط، وقهر الفضاء الخارجي حيث يمكن للإنسان أن يوسع مجال استثماراته الطبيعية.

إبتكار مناهج جديدة

وهو يرى أن المشاكل الجديدة في نوعيتها لا يمكن حلها باستخدام الوسائل والمناهج التقليدية، والتي تم اختبارها تاريخياً بشكل عملي. وهذا يبين الحاجة الملحة إلى ابتكار أساليب جديدة تناسب المشاكل الجديدة. ويقول إن المبدأ القائل بأن التناقضات العالمية لا يمكن التغلب عليها بجهود غير منسقة تقوم بها بعض الدول، قد أصبح مقبولاً على أوسع نطاق، وهذا يفيد أن الحاجة تشتد إلى استراتيجية شاملة متكاملة، يلتزم بها الجنس البشري بأكمله.

ومع ذلك، فإن تطوير مثل هذه الاستراتيجية سيتم في وضع لا يتجانس فيه البشر، من حيث التقسيم الاجتماعي والطبقي وفي ظل الفوارق المتزايدة في التنمية الاقتصادية والسياسية والثقافية، كما أنه سيتم على أسس متباينة، وغالباً متناقضة، من التوجهات الأيديولوجية والروحية، التي تعبر عن المصالح الخاصة بالطبقات، والقوى الاجتماعية المختلفة.

وكنتيجة لهذا، أصبح مجرد البحث عن استراتيجية متكاملة أحد

مجالات الصراع الرئيسية، على نطاق الافكار والنظريات. كما أنه بالصراع السياسي، الذي ستحدد نتائجه أي الاتجاهات الأيديولوجية، والأهداف الاجتماعية، والأولويات السياسية ستحكم ما يطرأ من تناقضات عالمية، وأي قوى طبقية سيتم هذا تحت قيادتها، وأي البدائل الاجتماعية والطبقية المطروحة في هذا المجال الحيوي ستسود.

وحدة المظاهر الاجتماعية والعلمية

والأسس النظرية التي يقترحها الماركسيون تعتمد على فهمهم لأساس طبيعة المشاكل العالمية ودلالاتها. ويقول فرولوف إن هذا الفهم ينبع من وعيهم بوحدة المظاهر الاجتماعية والعلمية لهذه المشاكل، وإنهم يربطون عضوياً بين التناول العلمي وبين ما يتصل به من فهم سياسي عملي وهم بذلك يطرحون المشاكل العالمية من خلال علاقاتها الجدلية، والصلة القائمة بينها، وتطورها من وجهة النظر التاريخية التي تحدد مستقبل الجنس البشري.

يقول فرولوف «ونحن إذ نفعل هذا، فإننا نبني تناولنا على افتراض أنه على عكس «تخطيط المستقبل» النابع من منهج المصلحين البرجوازيين، والذي يعتمد غالباً على اختيار مجموعة من المؤشرات القسرية، بصرف النظر عن مدى أهمية كل من هذه المؤشرات، فإن المنهج الماركسي يؤكد على إخضاع المؤشرات ذات الصلة الوثيقة بالموضوع، والمشاكل ذات الطابع العالمي، لترتيب متدرج خاص تراعى فيه الأولويات، اعتماداً على

طبيعة العلاقات السببية القائمة بينها في الواقع، وفقاً لمدى السرعة المطلوبة في حلها.».

مشكلة الإنسان

في هذا الإطار، يبدو ممكناً تحديد مجموعات خاصة من المشاكل العالمية، والتي تؤدي أساليب حلولها إلى تحديد أوضاع العالم في مطلع الألف الثالث للميلاد بشكل حاسم وفعّال. وهي تتضمن مثل هذه المشاكل:

● العلاقات بين الكيانات الاجتماعية الاساسية للبشر اليوم «وهذا يعني العلاقات بين النظم الاجتماعية ـ الاقتصادية وبين الحكومات، والعلاقات بين الطبقات والدول التي تضمها»، وما يترتب على ذلك من مشاكل، مثل السلام ونزع السلاح، والتنمية الاجتماعية، والنمو الاقتصادي، والعمل والعمالة.

● العلاقات بيں الإنسان والمجتمع، والتي تتطور بطبيعتها إلى علاقات اجتماعية، وإن كانت تظل في نفس الوقت محتفظة في أكثر أوجهها بالعنصر الفردي. وتتضمن المشاكل الإنسانية الناتجة عن تطور العلوم والتكنولوجيا والتعليم والثقافة، ثم مشاكل النمو السكاني ومشاكل تطور الانسان في المستقبل.

● العلاقات بين الإنسان والطبيعة، وما يستتبعها من مشاكل الموارد الطبيعية، ومصادر الطاقة والبيئة وإمدادات الطعام، والتكيف البيولوجي

للإنسان. وهذه المجموعة من المشاكل لا تكون أيضاً بمعزل عن العوامل الاجتماعية. وواقع الأمر أن مثل هذه المشاكل لا يمكن التوصل إلى حل لها، إلا بعد النظر إليها من خلال أرضيتها الاجتماعية.

والملاحظ أن العديد من المشاكل الواردة في المجموعتين الأولى والثانية، تعتمد إلى حد بعيد على تنوع من العوامل الطبيعية، وهذا هو بالتحديد ما يدعو إلى تناولها مجتمعة، نتيجة لأنها تشكل نظاماً عضوياً متكاملاً من المشاكل التي تؤثر على بعضها البعض، والتي يستقر في قلبها جميعاً مشكلة الإنسان نفسه، ومستقبله وهو يقترب من الألف الثالث للميلاد.

بين المستقبل الرائع والهاوية

في ختام كتاب «المشكلات العالمية ومستقبل الجنس البشري»، يقول دكتور إيمان فرولوف:

«هناك مستقبل رائع، بلا حدود، ينتظر الإنسان والجنس البشري، إذا ما ساد وانتصر حكم العقل والانسانية، وبالمثل ليست هناك حدود للهاوية التي يمكن أن يتردى فيها الإنسان والجنس البشري، إذا ما انتصرت قوى الشر والتخريب. . وهذا هو السبب في أن تحليلنا لبدائل التطور العالمى، لا يستند فقط إلى تفاؤلنا التاريخي، ولكنه يدخل في اعتباره الشكوك الواقعية، والاحساس بالخطر والمسئولية في نفس الوقت. . »

«لكن هذا كله يجب أن يحثنا على أن نشرع في إجراءات نشيطة، أكثر

من أن يشعرنا بخيبة الأمل. ولن يصل بنا إلى هدفنا المنشود عالمياً، سوى النشاط الهادف لحل المظاهر الاجتماعية والعلمية والتكنولوجية والإنسانية لمشاكل عالم اليوم، والحل النهائي لهذه لن نصل إليه بشكل فعلي إلا عندما نتناول هذه المظاهر بطريقة متكاملة».

.. ولكن .. !

باختصار وبساطة، ماذا يقول المفكر الماركسي إيفان فرولوف؟

يقول إن الماركسيين أكثر تفاؤلاً من علماء الغرب الرأسمالي فيما يتصل بمستقبل العالم سنة ٢٠٠٠ .

ومن أين ينبع هذا التفاؤل؟، من عقيدتهم الراسخة بأن كل هذه المشاكل ستختفي عندما تتحول الدول الرأسمالية إلى دول اشتراكية.. من الناحية النظرية، يبدو هذا مقنعاً، فلا خلاف أنه عندما ينتهي الصراع بين الدول الرأسمالية والدول الاشتراكية، ويتوقف سباق التسلح، ستتاح للبشرية إمكانيات هائلة، تحيل عالم اليوم بكل مشاكله ومآسيه الى نعيم مقيم.

وهذا يعني أن علماء المستقبل في الغرب يرون أن حل مشاكل العالم يتحقق إذا قامت الدول الاشتراكية بتعديلات وتحويرات في نظامها الاجتماعي، يسمح لها بأن تتعايش مع النظام الرأسمالي.. وعلماء المستقبل في العالم الاشتراكي يرون أن حل هذه المشاكل رهن بتحول

الدول الرأسمالية إلى دول اشتراكية، الأمر الذي يعتبرونه حتمية تاريخية لا مناص منها. .

لكن هل يتحقق هذا النعيم الأرضي فعلاً إذا عم التطبيق الاشتراكي أنحاء العالم؟. . وماذا عن التناقضات الراهنة بين كبريات الدول الاشتراكية؟. . وماذا عن عامل المصالح القومية الذي ما زال يفعل فعله في هذه الدول؟. .

وحتى بفرض أن هذه التناقضات ناشئة عن النفوذ الضاغط للأنظمة الرأسمالية والذي يتزايد يوماً بعد يوم، وأنها ستختفي عندما تسود الاشتراكية أنحاء العالم. . فماذا نفعل إلى أن يحين ذلك؟. . وهل تسمح لنا المواجهات الذرية والنووية والهيدروجينية بالوصول إلى ذلك الحلم الجميل؟. . ثم، وهذا هو الأهم، ماذا نفعل في السنوات التي تفصل بيننا وبين القرن الحادي والعشرين، وهي قليلة، لكي نتدارك الخطر المحدق بالبشرية؟. . .

المراجع

(1) ENCOUNTERS WITH THE FUTURE,
M. CETRON & T. O'TOOLE - McGRAW-HILL.

(2) GLOBAL PROBLEMS AND THE FUTURE OF MANKIND, IVAN FROLOV - PROGRESS PUBLISHERS.

(3) TOWARDS 2000,
RAYMOND WILLIAMS - PELICAN.

(4) THE FIFTH GENERATION,
E FEIGENBAUM & P. McCORDUCK - PAN.

المحتوى

رقم الإيداع : ٢١٥٥/٨٧
الترقيم الدولي : ٩٧٧ - ١٤٨ - ٩٧٥ - ٨

مطابع الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف ٧٧٤٨١٤ - ٧٧٤٥٧٨ - برقياً : شروق - تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت ص ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ - برقياً : داشروق - تلكس : SHOROK 20175 LE

المستقبل
بين
الشرق والغرب

- الدولتان الالمانيتان تتوحدان فى عام ١٩٩٥
- المؤسسة التى تنبأت بسقوط الشاه . وباضطرابات بولندا
- لا حرب نووية شاملة خلال السنوات العشرين القادمة
- الشرق الأوسط نصف بترول العالم ونصف التوتر العالمى
- الجنس الروسى أصبح أقلية فى الاتحاد السوفياتى
- إسرائيل أكثر الدول عدم استقرار فى الشرق الأوسط
- هناك مستقبل رائع . بلا حدود . ينتظر الجنس البشرى

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ
أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ